حياة

ماوتسي تونغ

بقلم

كلود روا

٤٥٠ مليونـــا[1] يتحـــررون

في ١٢ ديسمبر ١٩٤٦ اخرج احد مصانع الدبابات الامريكيـــة بمدينة دترويت (٢) الدبابة شرمان رقم ٢٣٧٤٣٨ «و» ١٤ ، وفي اوائــل يناير ١٩٤٧ نقلت الدبابة المذكورة الى سان فرنسيسكو وشحنت في ٣ فبراير على سفينة ابحرت الى شنغهاي لحكومة الجنرال تشان كاي تشيك الصينية ثم اختفى اثر الدبابة شرمان رقم ٢٣٧٤٣٨ «و» ١٤ ، وعثر عليها في بكين يوم اول اكتوبر ١٩٤٩ تمر امام الرئيس ماوتسي تونغ رئيس حكومـــة الجمهورية الشعبية الصينية الجديدة ، يقودها الجاويش ونج من جيش الشعب الرابع والجنديان وو وباي • لقد اتمت الدبابة الامريكية رحلتها الطويلة من دترويت الى بكين ، فبلغت هدفها اخيرا • وربما لم يكن هذا بالضبط هو الهدف الذي اراده لها صانعوها • منذ اسابيع كانت القنابل والمعدات لاتزال ترد الى بكين (٣) عبر « الجسر الجوي » الذي اقامه الامريكيون لوصل تلك المدينة التي يحاصرها الجيش الشعبي بقواعد تشانج كاي تشيك الاخيرة.

وقبل ذلك بعام واحد اعلن تشانج كاي تشيك : « لقد ازفت ساعة استئصال

---

١ ـ نشر هذا الكتاب قبل عمل الاحصاءالرسمي الذي اثبت ان تعداد الصين في ١٩٥٥ (٦٠١) مليون نسمة •

٢ ـ مدينة صناعية هامة في شمال الولايات المتحدة •

٣ ـ عاصمة منشوريا وهي اقليم صناعي هام في شمال شرقي الصين•

شأنه انصار ماوتسى تونغ » • ولكن الجيش الوطنى هو الذى أبيد فى ظرف سنة واحدة ، اذ تفككت فرق بأسرها وانتقلت الى جيش الشعب ، أو فرت تاركة الجيوش الامريكية ، والذخائر واللوريات والدبابات الامريكية • وفى معركة تحرير تاى يوان عاصمة مقاطعة شانسى ، استولى جنود الشعب على الدبابة شرمان رقم ٢٣٧٤٣٨ «و» ١٤ ، وهاهى تسير اليوم « أول اكتوبر ١٩٤٩ » فى بكين المزدانة بالاعلام ، امام ذلك الرجل الذى تحييه الملايين : ماوتسى تونغ •

ان تشانج كاى تشيك قد اضطر لتغيير عاصمته ست مرات خلال خمس سنوات • ثم ضاقت الارض من حوله • ولم يعد دكتاتور الصين ، سوى شخص منعزل فى جريرة صغيرة (فورموزا) يحتلها جنوده ، وتهدد هى الاخرى بالثورة ولا يمنعها من التحرك سوى الارهاب • ان فى وسع تشانج ان يرسل الطائرات الامريكية الباقية لديه فوق المدن المحررة لتقتل بضعة الاف من المواطنين الذين تخلصوا من نيره • فى وسعه ايضا ان يأمل قيام حرب عالية تعيد اليه سلطانه واستبداده ، وفى وسعه ايضا ان يدفع دولارات واشنطن اجرا لحفنة من الجواسيس والمخربين • لكن مصير الانسانية قد خطا خطوة اخرى حاسمة ، خطوة كالتى حدثت سنة ١٩١٧ (١) • لقد غدت الصين حرة ، واشرق نور كبير فى الشرق يماثل ذلك النور الذى اضاء سماء اوروبا ، منذ اثنين وثلاثين عاما •

فى ٧ يونيو ١٩٤٦ قضى تشانج كاى تشيك نهائيا على السلم الداخلى فى الصين • وارسل مليونين من الرجال المسلحين باحدث المعدات الامريكية ضد جيوش الشعب التى قاست الاهوال فى سنى الحرب وحرب العصابات

---

١ ـ يقصد الثورة الاشتراكية فى روسيا سنة ١٩١٧

ضد الغزو اليابانى • وبدأ موقف الشيوعيين فى خريف سنة ١٩٤٦ يدعو الى اليأس • اذ سقطت عاصمتهم نيان وسقطت نانتونج وجوكار وتاى هسين ونسيننج وهوتسى وتشنج يه • واستولى الوطنيون على ثلاثة ارباع المدن والمراكز التى يحكمها الشيوعيون وعددها خمسمائة • وفى ١١ اكتوبر احتلت كالجان عاصمة مقاطعة شاهار • وصرح الجنرال تشنج تشنج رئيس اركان حرب جيش الحكومة ان الشيوعيين سيهزمون فى خلال ثلاثة أو ستة اشهر على الاكثر ان رفضوا الاستسلام •

ولكن الشيوعيين شنوا فى ٣٠ يونيو عام ١٩٤٧ اثناء الليل هجوما عاما • وفى يناير عام ١٩٤٨ تصدعت جبهة الوطنيين • وفى فبراير من العام نفسه استعادت الجيوش الشعبية كل الاراضى التى فقدتها • وكان الشيوعيون يحتلون منشوريا فى خريف ١٩٤٨ ويسيطرون على الجزء الاكبر من شمال الصين • وفى ديسمبر ١٩٤٨ حاصروا بكين التى استسلمت فى ٢٣ يناير عام ١٩٤٩ ، ثم تحررت الصين كلها واعلنت فى بكين الجمهورية الشعبية الصينية فى اول اكتوبر ١٩٤٩ •

فما الذى حدث ؟

كان جنود الجيش الشعبى الصينى يحظون بتأييد الشعب ، وعلى رأسهم اكبر استراتيجى فى الصين • انه فلاح ، وفيلسوف ، ومثير ، وشاعر ، وسياسى ومناضل ثورى ، تلك هى الصفات التى يتحلى بها جميعا ماوتسى تونج ، وتظهر عبقريته كاملة اذا اخذنا فى عين الاعتبار كفاءته الحربية الفائقة • ففى اللحظات اليائسة التى انتصر فيها الوطنيون ، وفى الوقت الذى كان العالم يظن انه باء بالهزيمة ، وضع ماو بضعة مبادىء حربية غاية فى البساطة ، وكان للجمع بينها والعمل بها نتائج حاسمة • قال ماو فى اجتماع اللجنة

المركزية للحزب الشيوعى الصينى عام ١٩٤٧ : « هذه هى مبادؤنا الحربية ».

١ ـ اولا ، ضرب وحدات العدو المتفرقة والمعزولة ، ثم وحدات العدو المركزة والقوية .

٢ ـ اولا ، الاستيلاء على المدن الصغيرة والمتوسطة والمناطق الواسعة ، ثم الاستيلاء على المدن الكبيرة .

٣ ـ . . . ابادة القوى الحيوية للعدو لا المحافظة على مدن او الاستيلاء عليها ....

٤ ـ تركيز قوى متفوقة تفوقا مطلقا ... وتفادى المعارك الموهنة للقوة بقدر الامكان .

بيد ان هذه المبادىء العملية الحربية ماكان يتسنى تطبيقها لو لم يكن نضال الشعب الصينى ذاته ، ولو لم يكن الرجل الذى وضع هذه القواعد الاستراتيجية هو معقد آمال كل المناضلين تحت قيادته وجميع السكان المؤملين فى انتصاره ، ولو لم يكن ماوتسى تونغ قد انصهر خلال ٥٧ عاما فى حياة حافلة بالكفاح والتجارب ، ولو لم يكن تاريخ الصين الحديثة مختلطا بتاريخ محررها تسى تونغ ابن الفلاح ماو .

ماوتسي تونغ فاتح يعيش في المغـــارات

منذ خمس سنوات كان على الاجانب الذين يرغبون في مقابلة ماوتسي تونج ان يجتازوا مئات الكيلو مترات في السهول والجبال ، ويخترقـــوا جبهات الجيوش المحاربة ، ويعبروا جبال مقاطعة شنسي، ويتحملوا اهتزازات سيارات النقل عبر طريق غير ممهدة ، ثم يتسلقوا طريقا شديد الوعورة على سفح الجبل . فهناك ، في احدى مغارات قرية يانج بجوار ينسو ، كان يعيش الرئيس ماو مستقبلا زائريه على سطح من الطين بين شجيرات الطماطم والطباق والفلفل ، ومن حوله بعض الاطفال يلعبون . وكان الناس يترددون على هذه المغارة المحفورة في اللوس ، جدرانها مطلية بالجير ، وأرضيتها من الطوب ، واثاثها من الخشب الغليظ ، تضيئها مصابيح البترول .

واليوم يستقبل ماو زائريه خلف الابواب المطلية باللاكيه القاني فـي القصر الامبراطوري ببكين وتحت القراميد الذهبية والاروقة البرونزية التي تؤدي الى ماوراء معابد السماء والارض والاموات . لقد غدا ناسك الكهوف رئيس اكبر دولة على وجه الارض ، انه الرجل الذي يقود في مسالك الاشتراكية ٤٥٠ مليونا من الرجال والنساء . لقد ازداد وزنه قليلا . تحدث معه منذ ايام صحفي لم يره منذ اربع سنوات قائلا : « انك سمنت» . فابتسم ماو واجاب: « كان الرجعيون السبب في نحافتي . أما الان وقـــد

طردناهم فاني ادع نفسي اسمن » • انه يدخن سيجارته التي لاتتغير المصنوعة من الطباق الصيني تفوح منها رائحة كريهة ، يرتدي حلته التقليدية المصنوعة من التيل الازرق • ان له نفس الصوت العذب الموسيقى كما كان في الماضي ، ونفس الشامة على ذقنه ، ونفس الجبهة الواسعة ، ان سبعا وخمسين عاما من النضال والالام والتأمل ، وسنوات الهزيمة والنفي ، والاحزان والمخاوف والتجارب ، لم تحن من قامته الطويلة (بالنسبة للصينيين) • انه يتحدث بلكنة خونان التي لم يتخلص منها ابدا • ومن نوافذ القصر تزأر التنانين البرونزية في صمتها السرمدي • وعلى بعد ، تسمع ضوضاء طابور من الدبابات الامريكية تهتف لها جماهير بكين ، ويقف جنود الجيش الشعبي في مراكز قيادة الدبابات مرتدين زيهم الاخضر ، وتهتف الجماهير : « ماو تسي تونغ سانهوى » اي «طالت حياة ماوتسي تونغ » • نعم طالت حياته ـ انها طويلة فعلا أطول واحفل بالاحداث ، والاضطرابات ، والخبرة والفكر ، من حياة معظم الناس ، انها حياة جندي ، ومناضل ثوري ، وشاعر وسياسي انها قبل كل شيء حياة فيلسوف مكافح • ان ماوتسي تونغ ليس تجسيدا لطمع او رغبة في السطوة ، انما هو تجسيد لفلسفة قادها شعب باسره الى النصر • ان الصين هي ذات البلد الذي كان به في شنغهاي اثناء الحصار الياباني حانوت تعلوه لافتة ضخمة عليها العبارة التالية : «تشي هيو» (فلسفة) وفوق الرفوف كانت توجد موءلفات ماركسية منها كتب ماوتسي تونغ •

زار الصين كاتب انكليزي يبحث عن السر في عظمة هذا الرجل الوديع البسيط ، ذي الوجه المستدير الذي يرتدي حلة من التيل الاسمر او الازرق ، ذلك الرجل الذي انتزع ٤٠٠ مليون نسمة من الموت الذي كان ينتظرهم • ان الكاتب المذكور قد وجد السر في هذا تماما

كما وجد تولستوى من قبل فى مؤلفه « الحرب والسلام » سر المارشال كوتوزوف ، انه « فهم تام للشعب الذى يحوطه » .

هذا الاديب الصينى الكبير ، الذى نشأ فى ظل التقاليد البوذية البحتة، قد انضجته وشكلته ظروف شعبه البائسة ، ونشاطه الثورى ، وتجربةالسلطة والحرب والهزائم والعذاب ، والوحدة فى نيان ، والقراءة ، لقد اصبح تعبيرا بالغ الحساسية والعمق عن شعبه . انه الرجل القادر على ان يتكلم لغة ويكون افكارا ويحس احاسيس يلتقى عندها جميع مواطنيه ، كتب منذ بضع سنوات يقول : « ان نقطة البدء عندنا هى خدمة الشعب الصينى بحرارة ومن كل قلوبنا ، وعدم الانفصال عن الشعب ابدا ، والاتجاه دائما صوب هدف واحد : خدمة مصالح الشعب » . وعندما تقرأ تقرير ماو الرائع عن « الموقف الحالى ومهامنا » الذى نشر سنة ١٩٤٧ فى احلك ساعات الحرب الاهلية ، تأخذنا روعة البساطة فى الموضوعات ، والافكار الاستراتيجية والسياسية التى يعرضها ماو . ان اللغة البلشفية فى القرن العشرين التى تقابل لغة المؤتمر [(١)] فى القرن الثامن عشر ، هذه اللغة التى الهمت لنين وستالين مثلما الهمت لغة المؤتمر سان جوس وروبسبير [(٢)] من قبل هذه اللغة قد انتصرت

---

١ ـ المؤتمر الوطنى هو الهيئة المنتخبة التى حلت ابتداء من ٢٠ سبتمبر ١٧٩٢ محل الجمعية التشريعية ابان الثورة الفرنسية وبلغته فى ظلها الثورة اوجها .

٢ ـ كان ثلاثتهم من كبار زعماء الثورة الفرنسية ١٧٨٩ ـ ١٧٩٣ ويمتازون بميولهم الديموقراطية وبتمثيلهم مصالح الطبقات الشعبية فى صفوف الثورة اسس مارا جريدة « صديق الشعب » وفضح على صفحاتها موءامرات الملك والارستقراطية والمعتدلين . وكان من زعماء نادى الكوردلييه الذى لعب دورا هاما فى بدأ الثورة التى دفعها الى الامام .ومن كلماته المأثورة: « ان العنف هو السبيل الى استتباب الحرية . وقد حان الوقت لتنظيم

هنا فى الصين • ان طبيعة المناضل وعقل الفاتح يتحدثان بصوت ماو الذى يسجل اليوم فى التاريخ يقظة شعبه الهائلة • وتمتاز كلمات ماوتسى تونغ وكتاباته السياسية والعسكرية بالوضوح البالغ ، الذى تتميز به جلائل الاعمال التى سجلها قادة التاريخ الانسانى • ان ماو لايتكلم ابدا الا ليعمل ويقنع • لقد ابتسم الصحفيون الاجانب عندما حررت جيوش ماو شنغهاى • وكتب مراسل لموند يقول « لا معسكرات اعتقال ، ولا نظام بوليسى • ان العبارة الرئيسية فى الوقت الحاضر هى « اعادة التربية » ••• لقد تحولت شنغهاى منذ يوليو الى مدرسة هائلة للبالغين » • وقد يحلو للبعض ان يتهكم على هذه المهمة الهائلة التى اخذها ماو تسى تونغ وزملاوه على عاتقهم ، الا وهى تلقين علم الحياة لشعب باسره • انه « التعليم » ، تعليم الناس وسائل تحررهم ، وكيف يصبحون اقوى واكثر حكمة وسعادة • ولكنها اول مرة

استبداد الحرية بصفة موءقتة من اجل سحق استبداد الملوك » • وقد اغتالته فتاة من انصار الملك وهو على رأس الثورة مع روبسبيير ودانتون (١٣ يوليو ١٧٩٣) •

اما روبسبيير فكان الزعيم السياسى الاكبر للثورة فى اوجها • ترأس لجنة الامن العام ومحكمة الثورة • وكان سانجوس ساعده الايمن والفيلسوف والسياسى والاجتماعى للثورة فى أوجها ، وكلاهما شديد الايمان بمبادىء العدالة الاجتماعية • فمن كلمات روبسبيير المأثورة : « ان الملكية هى حق كل مواطن فى ان يستغل ويتصرف فى نصيبه من الاموال التى يضمن له القانون التمتع بها » •

ومن أقوال سان جوس : « يجب الا يكون هناك اغنياء او فقراء ، انه الثراء عار » وقال ايضا ان هدف التشريع الاجتماعى هو تمكين جميع الفرنسيين من الحصول على لوازم المعيشة الاولية ، والا يخضعوا لغير حكم القوانين ، والا يكون بعضهم تابعا لبعض» •

فى تاريخ آسيا كلها ينتصر فيها جيش لا ليعمل على اثراء قادته ومكافـــأة المنتصرين ، ولكن ليلقن الشعب الذى حرره السعادة ، ان ماو تسى تونغ هو فاتح العقل .

انه لفتح طويل بطىء وشاق . وهل كان يفكر فى نهايته اولئـــك الثلاثة عشر شابا الذين اجتمعوا منذ ثلاثين عاما ـ ومن بينهم ماوتسى تونغ ـ ليؤسسوا فى شنغهاى فى ظل الاحتلال الاجنبى الحزب الذى حرر الشعب الصينى ؟

١٩١٩ فى شنغهاى ثلاثـــة عشـــر ...

كان الثلاثة عشر رجلا يتكلمون بصوت خافت فى جو يملاءه دخان السجائر ، بينما تموج شنغهاى بالحركة ، ان حرارة الشمس لافحـــة . وعلى مياه نهر هوانج ـ بو ، ترسو مدرعات بريطانية ومدمرات امريكية وبوارج فرنسية تلسع حرارة فولاذها اليد العابثة التى تقترب منها . وخلف الستائر المسدلة غرف الفنادق الكبرى الكائنة فى قلب مناطق الامتيازات الاجنبية تدور المراوح فوق روءوس الاوروبيين المتعبين فى ملابسهم البيضاء. وامام العمارات ، فى مياه خليج سوشو القذرة ، ينصب فوق نوتيه القوارب والسامبان (١) ذوى القبعات الكبيرة المصنوعة من القش ، ويتصبب عرق الكولى (٢) وهم يجرون زبائنهم المتعجلين فى المركبات بطريق فوشو ، ويتصبب عرق عمال الارصفة وهم يفرغون با لات القطن وصناديق الاسلحة فى الميناء . بينما جلس فى واشنطون مفاوضوا الدول الكبرى حول مائدة خضراء يقررون مبدأ « الباب المفتوح » فى الصين ، وفى شوارع شنغهاى يعرض باعة الصحف على المارة الطبعة الاخيرة من جريدة «شنغهاى نيوز» (انباء شنغهاى) : حكومة كانتون تنكر على مندوبى بكين حق التحدث باسم

---

١ ـ نوع من القوارب الصينية .
٢ ـ العامل الذى يعهد اليه باشق الاعمال فى الصين .

الصين • وتحت اشعة الشمس تلمع السلطانيات النحاسية لدى بائعى شراب القراصية المثلج وبجوارها سلع بائع اللب والمنجم ، وغدا لن تتحدث اية جريدة فى اية بقعة من بقاع العالم عن اجتماع هوءلاء المجهولين بالمنزل القديم على ناصية فوشو •

أتم تشين باى تسوى تلاوة النداء الذى وجهته الحكومة السوفيتية منذ عام مضى (١٩١٩) الى الشعب الصينى ، بعد هزيمة جيش كولتشاك [٣] :
انا نأتى للشعوب بالخلاص من نير السلاح الاجنبي ، ومن نير الذهب الاجنبى ، اللذين يخنقان شعوب الشرق المستعبدة ، منها ـ بل وعلى رأسها ـ الشعب الصينى •

انتهى تشين وظل الثلاثة عشر رجلا صامتين • كان أمامهم آلاف الكيلو مربعات عبر الصين وقد مزقتها الحرب الاهلية • كان امامهم صورة الريف وقد حصدته المجاعة ، والفلاحين الذين ينوءون تحت وطأة استغلال الملاك العقاريين ، ونهب الجنود المرتزقة واغتيال الاقطاعيين • انهم يعلمون مدى بوءس عمال الارصفة فى كانتون وشنغهاى ، وشره رجال الاعمال الاجانب ودهاء شركائهم البرجوازيين [١] الصينيين الكبار • ان رفاقهم فى موسكو وباريس وبرلين ونيويورك يراسلونهم ويحيطونهم علما بالحركة الكبرى التى شملت الجماهير الشعبية فى العالم اجمع •

ـ قال احدهم ان شو ان لاى اسس فى باريس جماعة من الطلبة الشيوعيين الصينيين •

---

٣ ـ قائد روسى قاوم الثورة الاشتراكية بجيش قوى مدة غير قصيرة ثم هزم •
١ ـ مرادف لكلمة رأسماليين •

ـ وفعل شوتيه المثل فى برلين

ـ كانوا ثلاثة عشر فى شنغهاى ، ومعهم بضع مئات اخرى داخل ارض الصين وخارجها •

ـ اعترض واحد من الثلاثة عشر قائلا ان الصين لها فعلا حزبها الثورى : الكومنتانج •

ـ ولكن تشين باى سوى ، قاطعه قائلا ان الكومنتانج منقسم ومتردد ، وان الجناح اليمينى للحزب يعرقل حركته • والبرجوازية الصينية تتفق معنا على طرد الاجانب الذين يستغلون شعبنا ، ولكنها تخشى تحرير الجماهير الشعبية التى يضمن استعبادها رخاء البورجوازية • ان ال رجوازية الصينية يمكنها ان توءيد لفترة ما الحركة الشعبية ضد الاستعمار الاجنبى ، ولكنها سوف توءيد داخليا الطغيان الاقطاعى والروح العسكرية وكل ماتضيق به الصين ذرعا •

ثم انطلقت صفارة سفينة على أهبة السفر فطغى صوت صفيرها على الكلمات الاخيرة واخذ الثلاثة عشر رجلا يفكرون •

وتسائل تشين : « من يطلب الكلمة ؟ » •

رفع احدهم يده • كان صغير السن جدا يرتدى سترة من القطن الازرق •

* * *

قال تشين : « الكلمة لمندوب الحلقة الشيوعية فى تشانجشا ، الرفيق ماو تسى تونغ •••• »

في يوليو ١٩٢٠ اسس ثلاثة عشر طالبا صينيا في شنغهاي الحزب الشيوعي الصيني . وكان في الصين كلها وقتئذ بضع عشرات من الشيوعيين ربما بلغ عددهم المائة . وبعد ثلاث سنوات ، في يونيو ١٩٢٣ ، بلغ عدد اعضاء الحزب الشيوعي اربعمائة . وبعد ثلاثين عاما بلغ اعضاؤه الملايين(١) واصبح مندوب تشانجشا الشاب وعضو مؤتمر الثلاثة عشر مندوبا في شنغهاي، زعيم الجمهورية الشعبية الصينيـة.

عندما غادر ماو تسي تونغ وزميله « هي شوهين » الاجتماع السرى الذى ارسى أسس الحزب الجديد ، كان مراسل جريدة « شيكاغو تربيون » يكتب على الالة الكاتبة في غرفته بفندق متروبول برقية الى جريدتـه نصها الاتي :

« شنغهاي ، يوليو ١٩٢٠ . السائد في الدوائر العليمة بشنغهاي ان توقيع اتفاقيات واشنطن في المستقبل القريب سوف يضع حدا نهائيا للحركة الثورية في الصين ويضمن اعادة استتباب النظام في كل المقاطعات الوسطى . » (انظر الملحق) .

* * *

ان « الاوساط العليمة » ليست دائما « عليمة »

---

١ ـ بلغ عدد اعضاء الحزب عام ١٩٦١ ، ١٠ر٧٣٤ر٠٠٠ طبقا لوثائق المؤتمر الثامن .

ماو تسـي تونغ فى طفولتـه

كان امبراطور الصين فى العصور القديمة يقبض مرة فى كل عام على يدى محراث ويسير خلف ثور بطىء الحركة يلاحقه الذباب ليرسم خطا فى الارض ، ولم يكن خط الامبراطور مستقيما دائما ، ولم تكن يداه صلبتين فى كل مرة . ولو كان على تسى تونج بن ماو ان يحذو حذو الامراء السابقين لجاء الخط الذى يرسمه فى الارض الصينية مستقيما تمام الاستقامة . فالرجل الذى يدير اليوم أمة تضم ٤٥٠ مليونا كان فى اول الامر طفلا يمسك يدى محراث ابيه . .

ولد ماوتسى تونغ عام ١٨٩٣ فى شاوشان ، وهى قرية صغيرة تتبع مركز سيانج تان بمقاطعة خونان . كان ابو ماو رجلا صارما فى عمله صارما مع أهل بيته . وكان فى القرية وقتئذ كثير من الفلاحين اشد منه فقرا ، ومزارعون غاية فى البؤس ، تطحنهم الايجارات التى يدفعونها للملاك . ففى خلال سنى الجفاف الشديد تتشقق حقول الارز ويتلف المحصول . ثم ينهمر المطر فجأة فيتلف محصول القمح بدوره . أما أجران الملاك فلم تكن خاوية ابدا . كانوا يقطرون الارز ليصنعوا منه النبيذ ، ويعطون النفاية للفلاحين الذين يتضورون جوعا ليتبلغوا بها . ويذكر ماو تسى تونغ المجاعات الكبرى والغلة الوفيرة فى عهد طفولته . ان الامور فى الصين تجرى منذ الاف

السنين على وتيرة واحدة • الفلاحون يكدحون ويتعذبون من البرد والجوع ، في الوقت الذى يجنى فيه ملاك الارض « ارباحا غير عادية » على حد قول تشاو تسو (الذى عاش فى عهد اسرة هان ، قبل الميلاد بقرنين ، اليكسم ماقاله وكأنه كتب بالامس فقط) :

« هذه الطبقة لايحرث رجالها ولا يقلعون ، ولا تربى نساؤها دود القز ولا ينسجن ، ومع ذلك فثيابهم دائما جميلة وانيقة ، انهم لايأكلون سوى الغلة المنتقاة واللحم •• بين ايديهم كل غلات الحقول دون ان يتحملوا الشقاء الذى يتحمله الفلاحون • انهم يظهرون ثرائهم ويوجدون بكثرة فى كل مكان عرباتهم جميلة ، وخيولهم سمينة ، واحذيتهم وارديتهم الطويلة مصنوعة من الحرير الخالص » • ان هذا الرجل الذى واتته الشجاعة الكافية لكتابة تلك السطور الى الامبراطور منذ الفين ومائتى سنة ، وقد اثار حنق السادةالاقطاعيين فتوصلوا الى اعدامه عام ١٥٤ قبل الميلاد • ولكن ماو تسى تونغ يمكنه دون الرجوع الى مثل هذا الماضى السحيق ان يتذكر قصص طفولته ، عندما اعدم فى تشانجشا عاصمة الاقليم زعماء الفلاحين المتمردين الذين اتهموا بنهب اجران ارز الاقطاعيين لينجوا من الموت جوعا • ان تاريخ الصين تاريخطويل جدا غير شيق ، تقطع فيه رؤوس كثيرة وتعلق على اسوار المدينة • وتهمة اصحابها انهم جاعوا • وقبيل الميلاد بثلاثة قرون الف الامبراطور ون من اسرة ور عن ذلك اغنية كل مقطوعة تنتهى منها (مثل اغانينا الشعبية)بعبارة حزينة تتكرر :

نعيش فى عالم واحد
فلم كل هذا التفاوت
شانج ـ ليو تين ؟

الاغنياء يأكلون
ارزا طيبا ولحمـــا
شانج ـ ليو تين !
الفقراء يأكلون
النفايات والقشـــــر
شانج ـ ليو تين !

ان الامبراطور قد اثار السؤال القديم الذى طالما ردده الناس • ولكنه لم يجد الجواب فقال فى الختام :

شانج ـ ليو تين !
ان مصيرنا يتوقف على السماء الثابتة

« ان مصيرنا يتوقف على السماء الثابتة » : هكذا كان ايضا رأى ماو الاب • كان رجلا صارما وتقيا ، يحترم نظام السماء والارض واللذين جعلاه اوسع ثروة من الكثيرين غيره • وعقب عودته من الحقل ، كان يدخن غليونة جالسا على دكة صغيرة ، بين ثلاث آنيات للزهور ، تحت قصاصات الورق الاحمر التى خط عليها الكاتب تهانىء العام الجديد وصورة القياصرة كونج الهة الطهى • وفى الفناء تقوم النساء بادارة طاحونة الغلال لطحن القمح او الشعير ان الذرة العويجة ، والارز الجديد يطبخ على النار ، كان ماو الاب ياسف لجرأة المتمردين وجنود العهد الجديد ، فهناك فى الشمال يدور القتال ضد اليابان ، وعقب هزيمة الصين كان الامبراطور يمنى نفسه باجراء اصلاحات ، فعين الاديب كوانج يوو دى فى الحكومة ، ولكن الامبراطورة العجوز صاحبة الثروة ما لبثت ان طردته ، واعتقل الامبراطور فى جناح قصى بالقصر الامبراطورى ، وعادت الاحزاب الرجعية الى الحكم فحولت

سخط الشعب ضد الاجانب ، وعندما كان «تسي تونغ» الصغير يلعب في الازقة غير متجاوز السابعة من عمره كان البوكسر [1] في بكين يذبحون رجال الارساليات والتجار ، ثم قمعت الدول الغربية الثورة وعززت مراكزها في الصين ، وكان ماو الاب يهز رأسه ويكرر قول القدماء :« أيها الامير كن اميرا ! ايها التابع كن تابعا ! ايها الاب كن ابا ايها الابن كن ابنا ! » قال ماو تسي تونغ بعد ذلك بعدة سنوات « ان اول رأسمالي كان علي ان احاربه هو أبي » .

---

١ ـ جمعية سرية من الفلاحين كانت تعارض في حكم اباطرة مانشو في اواخر القرن التاسع عشر ، ونجحت في عام ١٨٩٩ في تعبئة الشعور الوطني ضد المستعمرين الالمان ورجال الارساليات الدينية وكلاء الاستعمار الغربي ، وتطور هذا الشعور الى ثورة عارمة على الاستعمار وارسالياته . وقد جندت دول الاستعمار لقمعها حملة مكونة من قوات بريطانية وامريكية والمانية وروسية وفرنسية ويابانية وايطالية ونمسوية . ولما هزمت الثورة فرضت على الصين شروط مذلة جعلت من الامبراطور وحكومتـــه مجرد اداة للغزاة ، واجبرت الصين على دفع تعويضات بلغت ٥٠٠ مليون دولار امريكي تدفع للدول العظمى وايضا لايطاليا وهولندا والنمسا وبلجيكـــا واسبانيا والبرتغال والدول الاسكندنافية .وذلك على اقساط من سنة ١٩٠١ الى ١٩٤٠ ، واعطيت عشر دول الحق في ان يعسكر جنودها في بكين ذاتها (عاصمة الصين) لحراسة مفوضيتها في قطاع من المدينة يحظر على الصينيين الاقامة فيه . كما نص على ان تحتل الجيوش الاجنبية الخط الحديدي من بكين الى البحر ، وضمت كل هذه الشروط الجائرة « بروتوكـــول البوكسر » لعام ١٩٠٩ الذي كشفت المادة ١١ منه على احد الاغراض التي سعى اليها المستعمرون وتقول هذه المادة : « ان الحكومة الصينية تعهدت بالدخول في مفاوضات لاجراء التعديلات التي تراها الدول الاجنبية مفيدة في المعاهدات التجارية والملاحية وفي الموضوعات الاخرى التي تمس العلاقات التجارية بهدف تسليمها » وقد اطلق الاجانب على اعضاء الجمعية اسم بوكسر الى « ملاكم » لانهم كانوا يزاولون طقوسا تتضمن تمرينات بدنية تشبه الملاكمـــة .

وعندما كان تسى تونغ الصغير يعارض والده ، كان يواجهه قوة الجاذبية التى تأسس عليها كيان الصين منذ الاف السنين ، فقبل الميلاد بخمسة قرون وضع المعلم كونج نوتسو الذىاطلقناعليه كونفوشيوس ، مذهبافيالحكمة انتهى عندما استقر وتبلور الى خنق الفكر الصينى مدة قرون طويلة ،واستخدم لتبرير كل المظالم وكل الاعتداءات وكل الاضطرابات ، دعا كونفوشيوس فى عصر الفوضى البارونات الاقطاعيين ، وملوك العبيد الذين يماثلونهم فـــى البربرية ، دعاهم الى توخى الاعتدال ، والتحلى بفضائل طيبة القلب والمجاملة والشهامة • الا ان دعوة كونفوشيوس اصبحت بعد مضى الفين وخمسمائة عام فلسفة متينة ، ومادة تردد بصورة الية ، وحجة فى جانب الاقوياء • لقد نسوا المغزى الاخلاقى الذى كانت تنطوى عليه مبادوءه فى العصر الذى اعلنت فيه ، وما كانت تتمثله من تقدم ذلك المجتمع القاسى ، وكان كل تراث كونفوشيوس بلا استثناء موضع التبجيل ، ولكنهم سووا بين ما تضمنه هذا التراث من قواعد ذات قيمة عامة مازالت مقبولة ، وبين قواعد لاتصلح الا لمجتمع بسيط كمجتمع عام ٥٠٠ قبل الميلاد • لقد تناسوا ان كونفوشيوس قال ان استقامة الحكام هى وحدها التى يمكن ان تجعل الشعب مستقيما ، ولكنهم كانوا يرددون عبارات كونفوشيوس فى كتاب لون يو : « من الممكن حمل الجماهير على اتباع ما يجب ان تتبعه ، ولكن لايمكن افهامها السبب فى ذلك •• نسوا كل امثلة الحكمة والطيبة التى ضربها كونفوشيوس وكان يحلوا لهم ان يذكروا كيف اعدم ساو ــ مو « ذو القلب الثائر والذى يضم بينه تلاميذ يكونون حزبا ، يمجد بنظرياته مذاهب غير مألوفة تعجب الغوغاء ، وتكفى مناقشاته الحامية لبلبلة الصالحين » • لقد سيطرت صورة كونفوشيوس على بلد راكد ، يعلم فيه الفقراء ان يتحملوا خاضعين مشقة

بالتعب والجوع وجشع ملاك القرية ، ان الحال كان دائما كذلك « ان مصيرنا يتوقف على السماء الثابتة »٠

كان يتحتم على الطفل ان يكتفي باجابة الامبراطور العجوز ٠ ولكنه على الرغم من ذلك كان يسأل اباه ٠ ان كثرة الاسئلة تنم عن التحرر من الخشوع ، والتحرر من الخشوع يوجب العقاب ٠ وكثيرا ما كان ماوتسي تونغ الصغير يضرب ٠٠ وما زال يذكر هذا ٠

عندما كان الفلاحون يلتقطون الارز ، والامبراطور السجين يعاني سكرات الموت ، والصغير ماوتسي تونغ يتعلم حروف الابجدية الاولى ، بينما يحافظ والده على عبادة الاجداد ، كان طالب شاب من طلبة الطب في كانتون ، قد صمم في قرارة نفسه على ان مصيرنا « لايتوقف على السماء الثابتة » ٠ وكتب يقول : « ان السبب الوحيد في بوءس الصين هو انانية الحكومة والموظفين وتجردهم من الكرامة » ٠ لقد قرر الدكتور (صن يات سن) الشاب هو وثلاثة من زملائه (وكان يطلق عليهم في محيطهم وقتئذ « الاربعة اشقياء الذين لايفترقون ») ان يكرسوا حياتهم لخدمة وطنهم ٠ وكان على الصين ان تنهج نهج الدول الغربية التي احتلتها ، ولكنها استخدمت علمها لتضيف الى اضطهاد الاقطاعيين الاستغلال الاجنبي ٠ عاش صن يات سن سنوات عديدة عيشة البوءس والتشريد التي يحياها المهيج الثوري ، من كانتون الى هونج كونج ومن الفلبين الى نيويورك ومن لندن الى باريس ، لقد سقط من رؤوس زملائه العدد الكثير ٠ وفي عام ١٩٠٠ كون صن الكومنتانج ، ذلك الحزب الذي ثار عشرات الانتفاضات ، واخيرا نجحت انتفاضته سنة ١٩١١ في عزل اباطرة مانشو ، واصبح زعيم « الاربعة اشقياء الذين لايفترقون » مرشد الثورة بعد توليه الحكم ٠ ولكن الساسة الصينيين كانوا

قد بلغوا أعلى مستوى فى فن تسخير غيرهم فى العمل ثم الاستفادة من ورائهم وسرعان ما انضم احدهم وهو يوان شى كاى وزير الامبراطور الى الحكومة الجديدة ، واستولى على المراكز القيادية فيها ، وتخلص من صن يات صن وتولى السلطة . ومن يوان شى كاى الى تشانج كاى تشك توطد فى تاريخ الكومنتانج ، تقليد الثورات التى يقوم بها اناس يسهل خداعهم . ودام حكم تشانج كاى تشيك الشخصى منذ وفاة صن يات سن الى حين انتصار القوى الديموقراطية . لقد احتاج صن يات سن والكومنتانج الى خمس سنوات ليتمكن من طرد يوان شى كاى الدكتاتور الداهية للجمهورية الصينية الجديدة ان صن يات سن كان يحظى بتأييد كتلة هائلة من الجماهير التى بدأت تشك فى ان مصيرها يتوقف على السماء الثابتة . هذه الكتلة الهائلة التى يمكننا ان تبين فيها ، على طريق تشانجشا ، شابا يسير معلقا ملابسه وكتبه على عصا من البواص فوق كتفه ، انه ماو تسى تونغ ذاهبا الى الجامعة . انه يذكر ان الحكيم الصينى قال : « ان الرغبة فى المعرفة هى التى عكرت صفو العالم ». ولكن الساعة قد ازفت لتعكير الراحة القاتلة التى يغط فيها هذاالعالم .. وهذا العالم الظالم .

ماوتسى تونغ فى شـــبابـه

الى بضع سنوات خلت لم يكن فى الصين وظيفة اكرم من وظيفـــة جامع الورق • ولم يكن جامع الورق فى الصين زبالا على الاطلاق • فهو لايجمع بدون تمييز كل ما يقع تحت يده • لم يكن يتكرم الا بالتقاط الاوراق المطبوعة • و المتكوبة بخط اليد • كانت مهمته ان يقى رمـــــوز الابجدية الصينية الجميلة وصمة وطئها باقدام العامة وغوغاء «الشعب الابله» و « يومين » تلك الهيئة التى يغلب عليها عنصر الطلبة والادباء «اهل الكتاب»•

كان الشاب ماوتسى تونغ مبعوث قريته وذويه الى مدرسة المعلمين فى تشانجشاعاصمة المقاطعة • وكان يحمل كل امال اسرته واصدقائه • فكل السبل مفتوحة امام رجل العلم • ان فى امكانه ان يصبح تاجرا او موظفا او طبيبا او منجما • ان من يحفظ عن ظهر قلب «الكتب الاربعة» لكونفوشيوس و « الكلاسيين الخمسة » ويتكلم ويكتب الصينية الفصحى ، ويعرف كيـــف يخط بريشته العلامات التى تستميل الالهة والموظفين والكبراء ، هذا الشخص سيد بين الجموع • ولكن كسب المعرفة لم يعد له فى نظر ماو تسى تونغ وزملائه من اهل تشانجشا المعنى الذى كان له عند ابائهم • فى يوم من الايام اعاره صديقه هسياو سان كتابا عن عظماء الرجال : بطرس الاكبر [1] ،

---

١ ــ قيصر عظيم ومؤسس روسيا الحديثة فى اوائل القرن الثامن عشر

ولنجتون [٢] ، واشنطن لنكولن [٣] ، جان جاك روسو [٤] ، مونتسكيو [٥] ، نابليون . فاذا بماو يلتهم الكتاب في ليلة واحدة . واعاده الى هسياو في اليوم التالى قائلا : « ان الصين في حاجة الى رجال عظام مثل هؤلاء . وسوف أكون عالم الثورة » . لم يكن ماو يحلم ان يصبح عالما ليضمن سلطانه الشخصى ، كان يريد ان يتعلم ليحرر افراد شعبه ، الفلاحين المغلوبين على أمرهم هؤلاء الذين عرفهم فى قريته ، والعمال البؤساء الذين كان يراهم فى المدينة .

بيد انه كان يجد فى هؤلاء المساكين مايدعو الى النفور بقدر ما كانوا هم انفسهم مدعاة للشفقة . كان فلاحا صغيرا هاربا من مزرعته ، غارقا فى احلامه النبيلة ، فى كبرياء الشاب المثقف ، وفى معتقداته ، يتنازعه ماضيه واطماعه ، ويقول انه كان يشعر بالخجل عندما كان يحمل امتعته على عصا من الخيزران امام الطلبة الاغنياء« الذين كانوا لايتحملون اقل حمل على اكتافهم ، بل ما كانوا ليقبلوا حمل اى شىء على ايديهم » . وعانى من جهل افراد الشعب وقذارتهم وقسوتهم روى مرة : « كنت اعتقد ان المثقفين انظف الناس فى العالم . اما العمال والفلاحون والجنود فكانوا قذرين جميعا . كنت اقبل ان استعير بدلة من مثقف ولا اقبل استعارتها من عامل » . ولم

---

٢ ـ قائد الجيوش التى هزمت نابليون فى واترلو سنة ١٨١٥ .

٣ ـ محرر الزنوج فى امريكا .

٤ ـ من كبار فلاسفة الثورة الفرنسية وصاحب كتاب « العقد الاجتماعى » . كان انسانيا ونصيرا للطبقات الشعبية والمعدمين ولمبدأ السيادة الشعبية ، هاجم الملكية الفردية وطالب بفرض ضريبة تصاعدية لتحقيق التوازن الاجتماعى .

٥ ـ من كبار فلاسفة الثورة الفرنسية وصاحب كتاب «روح الشرائع».

يكتشف الا ببطء شديد ان « العمال والفلاحين هم انظف الناس فى العالم .. وحتى اذا ما كانت ايديهم سوداء وسيقانهم ملطخة بالروث ، فانهم مع ذلك انظف من البورجوازيين » . وفى تشانجشا التى احتلتها قوات الكومنتانج الثائرة ضد الدكتاتورية المقنعة التى فرضها «رئيس الجمهورية» يوانشاى كاى وجد ماو الحالة فى غليان شديد ، لم يعد الطلبة يكتفون بترديد بعض التعاليم ، بل كانت حلقاتهم تناقش بحرارة اخبار اوربا حيث كان شبح الحرب يلوح فى الافق ، واحداث شمال الصين حيث اتسعت الحرب الاهلية . كان ماو يذهب كل يوم الى المكتبة العامة ويقرأ كل ما يجده بها من كتب فى التاريخ، والاقتصاد السياسى ، والمسائل الاجتماعية . لقد اعجب بما ترجمه الصينى الكبير بن فو عن ادم سميث (١) وسبنسر (٢) وداروين (٣) . ثم

---

١ ــ اقتصادى انكليزى شهير نشر سنة ١٧٧٦ كتابه « بحوث فى طبيعة واسباب ثروة الامم » ، وهو اول كتاب عرض وناقش قوانين النظام الرأسمالى بشكل علمى الى حد بعيد . وقد ذكر ان ثروة البلد تكمن فى مجموع ماينتج من سلع ، وان قيمة السلعة هى كمية العمل المبذول فى انتاجها وان كل عمل مصدر للقيمة لا العمل الزراعى وحده كما كان يقول اسلافه . كما قرر ان المجتمع يتكون من ثلاث طبقات ، العمال ، والرأسماليين ، وملاك الارض ، ولكن فكره كان قاصرا ومحددا نظرا لانه لم يدرك عهد الصناعة الكبيرة الذى اكتمل فيه نمو المجتمع الرأسمالى .

٢ ــ فيلسوف انكليزى عاش الى القرن التاسع عشر ونشر فى منتصفه عدة كتب شرح فيها فلسفة تطورية تقوم فى المجال الاجتماعى على أسس مشابهة لنظرية داروين فى ميدان علم الاحياء .

٣ ــ عالم انجليزى شهير نشر سنة ١٨٥٩ كتابه « اصل الاجناس » الذى شرح فيه نظريته فى تطور الكائنات الحية منذ بدء ظهور الحياة على الارض ، استنادا الى بحوث طويلة استمرت عشرات السنين . ويأخذ العلم الحديث بنظرية داروين فى جوهرها مع ادخال التعديلات التى اقتضتها الاكتشافات الجديدة وتقدم وسائل البحث ومناهجه .

جاء اول كتاب صيني عن الاشتراكية ، كتاب في غاية الثقل «لتشانج كان فو» لقد جاء مفاجأة حقيقية لماو ، وفق ماو بعدئذ في الحصول على «البيان الشيوعي» وعلى كتاب كاوتسكي عن « حرب الطبقات » ، وعلى كتاب في تاريخ الاشتراكية لقد اعطته هذه الكتب مفتاحا جديدا لفهم التاريخ «الصيني» ، الذي كان يبدو له حتى ذلك الوقت قصة غامضة غير مفهومة ، وخضما مضطربا ممل من الاباطرة والقادة والوزراء ، وسلسلة لايمكن تفسيرها من الانتصارات والكوارث • وفجأة غدا كل شيء واضحا بتغير الزاوية التي ينظر منها ماو للامور ، وبالكشف في مجاهل التاريخ عما اعترى الاشخاص من مد وجزر ، وعن الحركات الكبرى للجماهير الصينية وعن مشاكلها ، عن اعمال الفلاحين ومآسيهم ، عن تصارع الاحتياجات والمصالح ، عن تعارض الطبقات ، وتبادل الهجوم والهجوم المضاد من جانب المستغلين والمستغلين ، لم يعد التاريخ ابن السماء بل وليد الارض ، ان ممثلي المأساة الحقيقيين هم اولئك المزارعون «القذرون» وأولئك الكولي الذين تتطفل على اجسامهم الحشرات أولئك الجنود في الاسمال الذين يسير بينهم ماو غارقا في تفكيره • كانت الصين في حاجة الى رجال عظام ، لا لاسكات هذه الملايين ولكن لاسماع صوتها ، وفتح الطريق امامها ، اخذ ماو يستعد لحياة النضال ، ويتسلح خلقيا وجسمانيا• كان المع الطلبة فأراد ان يكون اقواهم بنية ، كان يسير الساعات الطويلة في الريف ، ويسبح في الانهار الشديدة البرودة مدفوعا بقوته الفتية وطاقته السليمة • ويروى ماو انه في يوم من الايام ارادت قوة من الجنود التائهين الاستيلاء على مدرستهم ، فتزعم ماو زملاءه واساتذته وتمكن من الحصول على اسلحة وادوية ، واقام حراسا ومنع الجنود من دخول المدرسة • وقال

بعد هذا النصر : « هذه اول مرة اتولى فيها قيادة عسكرية ، ويضيف هسياو كان يبدو انه يعرف انها لن تكون المرة الاخيرة .

كان ريف تشانجشا ، كواليس مسرح التاريخ الكبير . ان صن‌يات‌سن كان قد وصل منذ وقت قريب‌الى بكين ومنها ذهب الى كانتون ليقيم فيها حكومة ديموقراطية . فى روسيا اعلن الجنود والعمال انشاء او لسوفيات[1] فى العالم ، ذهب ماو الى بكين وكتب يقول : « كنت اتتبع باهتمام بالغ الاحداث فى الاتحاد السوفيتى ... وتحت تأثير الثورة الماركسية وثورة اكتوبر ، انشأت فى تشانجشا فى شتاء ١٩٢٠اول منظمة سياسية عمالية » . فى عام ١٩١٩ اشترك ماو اثناء اقامته الاولى فى بكين فيما اطلق عليه حركة ٤ مايو ١٩١٩ اذ استغلت اليابان الانقسامات داخل الصين ، ووضعها كدولة محاربة مع الحلفاء ، فقدمت الى الصين انذارا نهائيا عام ١٩١٥مكونامن«واحد وعشرين طلبا » [2] ، يؤدى تحقيقها الى استعباد امبراطورية الشمس المشرقة للصين بصورة نهائية . وفى معاهدة فرساى ضحى الحلفاء بمصالح الصين ارضاء لليابان فاندمج الشعور الوطنى والحركة الديموقراطية وكونا مدا ثوريا تزعمه طلبة بكين خلال مظاهرات ٤ مايو ١٩١٩ ضد حكومة بكين الممالئة لليابان (حكومة « الرئيس» لى يوان هونج ، الذى خلف الدكتاتور يوان شى كاى المتوفى عام ١٩١٦ فى ظروف غامضة) .

فى عام ١٩٢٠ كانت الصين‌منقسمة ، فهناك حكومة رجعية تقيم فى بكين ، وصن يات سن يرأس الحكومة الثورية فى كانتون ، وفى بقية انحاء

---

١ ـ مجالس منتخبة من الجنود والعمال والفلاحين فى كل قرية ومدينة ومنطقة وتباشر السلطة السياسية والادارية فى تلك البقعة . وكلمةسوفييت تعنى مجلس بالروسية .

٢ ـ انظر الملحق

الصين يتنازع حكم الاقاليم قواد مغامرون يطلق عليهم اسم« الطوقيون » •
كان الهدف الاول للشاب الثائر توحيد الصين نهائيا • ولسوف تتحقق هذه الوحدة فى يوم من الايام بعد ٢٥ عاما من النضال ، ولن يحقق انتصار الوحدة الوطنية الا انتصار الثورة الاجتماعية ، ولكن لايزال ماو تسى تونغ مجرد واحد من الثلاثة عشر شابا الذين اجتمعوا فى احدى الامسيات بشنغهاى فى منزل قديم على ضفة اليانج تسى وقرروا ان يصبحوا ملايين الغد •

« طالمـــا ان لى هـــدفا فى الحيـــاة »

خيم السكون فى قلب بكين على صالونات القصر الامبراطورى وحدائقه الخاوية . لم يعد يأتى بملابسه الرسمية ليجتاز من خلف معبد السماء وهيكل الزراعة ، البوابات المزدوجة لمدينة التتر ولا ابواب الشعائر الدينية المؤدية الى الباب الاحمر ، « وو ين » ، وما من خطوة تسمع فى الحدائق الكبرى الملونة باللون الازرق والذهبى والاحمر القانى . وتزأر الاسود البرونزية فى سكون تحت اقدام النصب التى ما زالت تردد اشعة الشمس «هنا امبراطورية وسط العالم ، الارض المفتوحة لعمل الاحياء . المحيط الذى يتوسط البحار الاربعة . حيث يقوم البشر ، وينحنون ويتبادلون التحية طبقا لمراتبهم » . لقد اختفى الاباطرة الاخيرون ، مسمومين او منفيين وبدأت صين أخرى حياتها .

فى هذا الوقت يقضى مساعد امين مكتبة «بيتا» بجامعة بكين الاهلية اجازته مع اسرته . حقا ان له اسرة كبيرة جدا مبعثرة فى ارجاء الصـــين كلها . لقد رأوه منذ ثلاثة شهور فى تشانجشا بمقاطعة خونان التى ولد بها . وفى الشهر الماضى كان فى شنغهاى . ثم شوهد فى كانتون . ان لامين المكتبة المساعد ماو تسى تونغ اسرة كبيرة جدا . ولكنه مع ذلك ينسى اصول اللياقة والاحترام . انه لم يستشر ذويه فى اقترانه بيانج كاى هوى ، وهى طالبة لم تضع قدميها فى حذاء حديدى (كعـــادة أهل الصين) ، شعرها قصير

وكلامها ينبض بالحياة . عندما يذهب والد الزوجة الشابة لزيارة صديقه السيد ماو في دكانه ذي الرائحة الذكية حيث يبيع الاخير جامبون يونـــان ، (دكابورية) سوتشيو ، والعصافير والسمك ، يخيم الحزن على وجهي الكهلين . ان الشاب اذا مضى في تقليد عادات اهل البحار فمن يدرى الى اين يسير ! سوف نرى الصينيين عما قريب يذكرون اسماوءهم قبل القابهم ، ويكتبون العناوين مبتدئين بالرقم ثم الشارع ثم المدينة ثم المقاطعة ، سوف ينقلب العالم رأسا على عقب .

يعيش ماو بهدف اعادة الدنيا الى وضعها الصحيح ، انه يتسلح كل يوم بطريقة افضل للمهمة التي تنتظره . انه لايدرس الكتب فقط وانما يدرس الواقع ايضا . لقد عرف بلاده خلال رحلاته عبر الصين وعرف الناس الذين سوف يصنعون مستقبلها . وفي الشمال طارده بوليس « الطوقيون » وأمراء الحرب واشهرهم الماريشال شانج صولين الذى يسيطر على منشوريا ومنطقة بكين . وفي شنغهاي عرف كبار رجال الاعمال البورجوازيين «الكومبرادو» [1] الذين يتعاونون تعاونا تاما مع اصحاب البنوك ، ورجال الاعمال الاجانب ويبيعون الصين لصاحب اكبر عطاء ، وفي بكين وكانتون ، قابل في منظمات الكومنتانج البورجوازيين الوطنيين والشوفينيين [2] المصممين على المضي في الثورة الوطنية حتى النهاية ، ووأد الثورة الاجتماعية في مهدها . وفي شنغهاي ، وفي الاحياء العمالية بالمدن الكبرى ، اتصل بالعمال الصينيين ، عمال الارصفة

---

١ ـ كلمة اسبانية معناها «مشتر» . وتستعمل في البلدان المستعمرة والتابعة للدلالة على قسم من البورجوازية الكبيرة يختلف عن البرجوازية الوطنية في انه مرتبط مباشر برأس المال الاجنبي وخاصة في مجال التجارة الخارجية كوسيط بين الاستعمار والاقتصاد الوطني .

٢ ـ المتعصبين في الوطنية .

والكولى والعمال اليدويين الذين نظموا نقاباتهم لاول مرة ، ان طفولتـــه وشبابه تمتد جذورها الى الاربعمائة مليون فلاح الذين يقال لهم «هسياو ــ ين» أى المقلون • وخبرته أوسع واغرز من خبرة معظم زملائه فى الكفاح • وغالبيتهم مثقفون ، وشبان بورجوازيون بسبب البوءس والفاقه التى تقوم عليها رخاء الطبقات التى ينتمون اليها • ويعتقد الكثيرون منهم ان الفلاحين الصينيين لايزالون جهلة وغارقين فى الماضى لدرجة لايمكن معها التأثير عليهم والعمل معهم • وسوف يقع على عاتق ماو عبء اقناعهم بأن القاعدة الثورية الوحيدة المتينة فى الصين هى البروليتاريا [٣] والفلاحون • وفى مقابل ذلك سوف يستفيد منهم ماو فى توسيع افقه بفضل المعلومات التى سيحملها الكثيرون منهم عند عودتهم من رحلاتهم فى اوروبا •

ان شوان لاى يصغر ماو بخمس سنوات وينتمى لعائلة قديمةمن عائلات الماندارين [٤] ، لقد درس فى اليابان ثم فى فرنسا ، حيث اشتغل فى مناجم الفحم كعامل عادى كى يستطيع دفع الرسوم الدراسية بجامعة ليل [٥] ، وفى برلين نشأت رابطة صداقة بينه وبين شو ته ، انه رجل عسكرى محترف ابنسمت له الحياة من كل الوجوه ، كان فاحش الثراء ، تحوطه عشيقاته • يحيا حياة البذخ ويقضى اوقاته بين متعتى تعاطى الافيون وقراءة الكتب ، وعن طريق الكتب احس شو ته بوعى جديد يشرق فى نفسه ، فباع كل ممتلكاته واعطى قيمتها لعشيقاته لتربية اولاده • وركب هذا الارستقراطى الكبير الذى

---

٣ ــ العمال الاجراء •

٤ ــ موظفى الدولة فى الصين وكانت لهم فى الماضى سلطات واسعة وكانوا موضع الاحترام والرهبة من عامة الشعب •

٥ ــ مدينة فى اقصى شمال فرنسا •

طحنه المخدر والملذات ، ركب سفينة يعلم انه لن يجد بها الافيون ، وظل بين الحياة والموت شهرا يكافح ضد الرغبة في المخدر ، وبذا تمكن من التخلص من تلك العادة ، وما ان استعاد صحته وغدا نحيلا وتخلص من ماضيه الثقيل ، حتى انضم سنة ١٩٢٢ الى الحزب الشيوعي الذي ارسله الى المانيا ليتعلم الفن الحربي . وهناك سجن وطرد ، وذهب الى فرنسا ثم الى الاتحاد السوفيتي قبل العودة الى الصين ، وكما ان « شن اي » درس في المانيا ، درس شنج كوانج في جامعة شعوب الشرق بموسكو ، وذهب جاو شوشيه الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وطرد لي سان من فرنسا عام ١٩٢٢ .

هذه الحفنة من مشردي العالم ، وقد صقلهم الفقر والسجن والاسفار ، هم الذين يضعون على كواهلهم المهمة التي وصفتها « الاوساط العليمة » بانها غير معقولة ، الا وهي خلق حزب شيوعي كبير في الصين . كان في الحزب الشيوعي «الكبير» ١٠٠ عضو عام ١٩٢٠ ، ٢٠٠ عام ١٩٢١ ، ٥٠٠ عام ١٩٢٣ ، ١٠٠٠ عام ١٩٢٥ ، وهذا الحزب الضئيل هو الذي سيقرر عام ١٩٢٣ الانضمام الى حزب صن يات سن ، الكومنتانج ، لقد رأى المراقبون الاجانب في هذا « الزواج » جمعا بين طرفين متنافرين ، ورأى فيه ماو وزملاؤه درسا لقليل من الخميرة في عجينة الكومنتانج الثقيلة . وقالت الدوائر المحافظة بالكومنتانج فيما بينها : « يجب ان نرحب بالشيوعيين وان نقنعهم بارائنا » . وقال الزعماء الشيوعيون : « يجب علينا ان نتعاون مع البورجوازية الوطنية ، وان نصل عن طريقها الى طبقات العمال والفلاحين ، وان نكافح ضد «المائعين» ودعاة التوفيق ، وان نحث في داخل الكومنتانج على تحقيق الثورة الزراعية ، وتوزيع الاراضي على من يعملون بها » . ولكن الجناح الايمن للكومنتانج انزعج ، وصاح « الصينيون القدامى

ان هوءلاء الشيوعيين سيجروننا الى ابعد مما نرغب فيه • وقام الشيخ صن يات سن بالتحكم بين الفئات المتعارضة • لقد ذهب الى روسيا واعجب بلنين وستالين والاتحاد السوفيتى • انه ليس شيوعيا ، ولكنه يعتقد ان الصداقة الصينية السوفيتية فى المجال الخارجى ، والتعاون مع الشيوعيين فى المجال الداخلى ، امران لاغنى عنهما • قال : « لاتنسوا ان نداء « كفوا ايديكم عن الصين » دوى هناك فى روسيا الحرة • وقد ينظر الرأسماليون الاوروبيون الى هذا الشعار بسخرية معتقدين انه سيظل عديم الاثر لان الاتحاد السوفيتى بعيد عن الصين • ولكن الشعارات التى تنعث من موسكو لاتعرف المسافات • انها تدور حول الكرة الارضية بسرعة البرق وتجد لها صدى فى قلب كل كـــادح » •

مات صن يات سن فى مارس ١٩٢٥ فى اليابان حيث ذهب ليستريح، بعد ان انهكته المعارك ، وأضناه مرض السرطان ، وقوض نفوذه الدساسون داخل حزبه • وكتب فى وصيته ••• ان الثورة التى ابتغيها لم تكتمل بعد » عقب ذلك بشهرين اطلق البوليس البريطانى النار فى شنغهاى على مظاهرة للطلبة • وفى اوائل ابريل استيقظت شنغهاى يخيم عليها سكون الموت ، اذ اضرب بها ٢٠٠ر٠٠٠ عامل ، وسرى شعار الاضراب العام ومقاطعة المنتجات الاجنبية كالبرق فى انحاء الصين كلها ، فبلغ هانكيو وبكين وتسينتاوونانكين وكانتون وهونج كونج • ودام الاضراب ١٦ شهرا شلت خلالها تجارة الشركات الاجنبية وشركائها الصينيين •

هنالك داخل البورجوازية الكبيرة الخوف • فاتصلت بشاب من رجال الجيش دفعه طموحه الى الصف الاول من زعماء الكومنتانج بعد موت صن يات سن ، وكلف الجنرال تشانج كاى تشيك بالعمل على حصر الخسائر

فى أضيق الحدود • فاجتاز تشانج نهر رو بيقون يوم ٢٠ مارس ١٩٢٦ واعتقل زعماء الجناح الايسر للكومنتانج ، والمستشارين العسكريين الروس وسرعان ما استصدر مرسوما بعدم جواز انتخاب الشيوعيين فى الوظائف القيادية الحزبية • فانقسمت الصين الى ثلاث مناطق كبرى : فى الشمال ، المارشال تشانج صولين و « الطوقيون » ، وفى نانكين تشانج كاى تشيك والجناح الايمن للكومنتانج • واخيرا فى هانكيو الجناح الايسر للكومنتانج • واتفقت الحكومات الثلاث على نقطة واحدة فقط ، سحق الشيوعيين • وفى ١٩٢٧ زحفت جيوش تشانج صولين وجيوش تشانج كاى تشيك معا على هانكيو • وكان هذا ايذانا بذبح الشيوعيين فى كل الصين ، من شنغهاى الى هانكيو • ففى شنغهاى استغل تشانج كاى تشيك نفوذ تويويه شنج ملك عصابة الافيون ، الذى تعاون رجاله مع مرتزقة الجنرال « الديموقراطى » على ابادة المناضلين النقابيين والقائهم احياء فى مراجل القاطرات ، وعم الارهاب الابيض الصين كلها . لقد اعلن صن يات سن ساعة موته : « اننى استهدفت تحقيق الحرية والمساواة لكل الصينيين » ولكن خلفه منح الشعب الصينى الحرية فى الموت والمساواة فى الارهاب •

افلت ماو من المذبحة باعجوبة واتجه الى مقاطعة كيانجسى [1] على رأس جيش من الفلاحين • لقد تحددت مواقف الجميع ورفعت جميع الاقنعة • انتصر تشانج وبدأت بالنسبة لماو حياة الجندى فى الوقت الذى انتهت فيه حياة المثقف المناضل • وسار على رأس جيشه الصغير يشق طريقه بالحيلة وبالسلاح فبلغ الكيانجسى ، غربى خونان ، بمساعدة الفلاحين ، وتذكر قصيدة تساى هن القديمة •

---

١ — فى جنوب شرقى الصين •

انى لا اكره الموت
ولست طامعا فى الحياة
لايمكننى السير الى الابد فى طريق الهاوية
طالما ان لى هدفا فى الحياة
ان لماو هدفا فى الحياة • يجب ان تتحقق رغبة صن يات سن : « ان النورة لم تتم ، وعلى رفاقنا ان يناضلوا لاتمامها » •

ربـع مليون دولار ثمنـــا لـرأس

ديسمبر ۱۹۲۷ ، الشيوعيون يحصون قتلاهم • في كانتون اغرقت اخر هيئة للثورة الشعبية في بحر من الدماء ، ووصلت الى مدينة السامبان[١] الوحدات الشيوعية المنهزمة في هانكيو • ان الالاف البائسة تعيش منذ قرون على مياه نهر تشوكيانج في جو مشبع برائحة الرطوبة والخيزران المتعفن • والاطفال مشدودون بحبل الى حافة السامبان (القارب) يعيشون في الماء الراكد الذي يرشح من القاع العفن • لقد انضم اولئك الذين يطلق عليهم باحتقار «المائيون» شويجين ، الى عمال وجنود الجيش الاحمر وحملـــوا السلاح • ولكن جيوش الكومنتانج استردت المدينة في ١٤ ديسمبر • واعدم رميا بالرصاص اكثر من الفي عامل ، وسقط الاف غيرهم في معارك الشوارع وصرح الحزب الشيوعي فيما بعد انها كانت معركة موءخرة ، وان « كومون كانتون كان محاولة بطولية وضرورية لصيانة مكاسب الثورة » •

واذ شلت ثورة كانتون القوات الوطنية في الجنوب فانها سمحـــت للشيوعيين المنهزمين بلم شملهم • ولحق من نجا من كانتون بوحــــدات ماوتسي تونغ في الكيانجسي • واقبل شو ته ورجاله من هانكسيو وارتدوا الى خونان ، وانضموا في كيانجسي الى جيش الفلاحين ومعظمهم بدون

---

١ ـ يقصد كانتون

اسلحة (الفان على الاكثر يحملون بندقية) عدا « السكين الكبير » التقليدى ، وحاملة سونكى بدائية يتسلح بها الفلاحون الصينيون منذ ستة الاف عام • ان كل الجيوش الحكومية تطاردهم والعالم يجهل حتى وجودهم وفى بكين وقف تشانج كاى تشيك على قبر (صن يات سن) يعلن ان الثورة قد تمت• وسرعان ما انقض اهل بطانته الذين اطلق عليهم فيما بعد « العائلات الاربع » على الغنيمة • لقد تمكنت العائلات الاربع خلال عشرين عاما من احتكار اقتصاد البلاد كلها ، وجمع ثروة (معظمها مودع فى بنوك امريكية) تقدر بحوالى ١٥ مليار دولار ، اذ ما قيمة بضعة الاف من الجنود المستميتين الملتفين حول ماوتسى تونغ وشوته ، بلا اسلحة ولا جيوش نظامية ولا نقود ، ولا معاونة من الخارج •

اما بالنسبة لماو فقد كانت هذه الساعات رجوعا الى الوراء وبحث جروح انتقادية فى الاخطاء التى ادت الى الكارثة الحالية • لماذا هزمت القوات الشعبية ؟ كيف يمكننا اصلاح ماحدث ؟ لابد من الاجابة على هذه الاسئلة قبل كل شيء •

طالما حذر ماو زعماء الحزب منذ زمن بعيد من التمتع فى الحياة المريحة السهلة • ولكن الكثير من الشيوعيين قد انخدعوا بالتنازلات التى منحتهم اياها الكومنتانج لفترة ما ، كان ماو يقول « ليست الثورة دعوة الى مأدبة عشاء، او كتابة نصوص ادبية ، ولا هى رسما ، او تطريزا ••• ان احداثها لايمكن ان تتوالى برقة وتدرج ولا يمكن ان يراعى فيها الاحاطة بكافة التفاصيل ومراعاة الاحاسيس والتوفيق بين الاتجاهات المتناقضة» • وفى نشوة الانتصارات البرلمانية وسكرة اللجان ، تراخت عزائم كثير من الزعماء • ونسوا ان قوتهم تكمن فى تأيد الجماهير لهم ، عمالا وفلاحين • كان بعض المثقفين

مصممين على جميع التنازلات ارضاء للبورجوازية ورغبة فى عدم ازعاجها • أما الاخرون فكانوا لايعرفون شعبهم جيدا • قال ماو « كان الكثير من رفاقنا لايعتبرون جهلهم الكلى او الجزئى لتاريخنا عارا كبيرا ، بل اعتبروا ذلك شيئا يمكن الاعتزاز به • ونظرا لانهم لايعرفون شيئا عن بلادهم فانهم يديرون انظارهم نحو البلاد الاجنبية •• لقد ارتكب هذا الخطأ الكثير من الطلبة العائدين من الخارج • فلم يعدوا كونهم « فونوغرافات » ، لقد تناسوا ان واجبهم الاساسى هو استخدام ما تعلموه فى الخارج لافادة الصين » • وعقب هذا النقد الذاتى اقيل سكرتير الحزب شن هوهسيون •ونجح ماو تسى تونغ فى استصدار قرارات من شأنها معالجة الامور •

حاول الشيوعيون قبل كل شيء ان ينشئوا جيشا احمر ، وان يوفروا له التعليم والمعدات والاسلحة التى لابد منها وان يزودوه بقاعدة اقليمية • ومن هذه النواة سوف يكون فى استطاعتهم توجيه مجموعات الانصار المبعثرين فى كل الصين • لم يفعل الكومنتانج شيئا للفلاحين سوى زيادة العبء الذى يرزحون تحته ، وما لبث البوءس ان دفعهم الى حركات تمرد متفرقة اتخذت شكل ثورات قامت بها جمعيات سرية قديمة مثل « الحـرب الحمراء » ، « السكاكين الصغيرة » ، « الحرب الصفراء » • كان على الحزب الشيوعى ان يتزعم هذه الحركات وينميها ويحدد اهدفها ، ففى المدن نظمت الخلايا السرية الاضطرابات فى الموءسسات الاجنبية • وحيثما توفرت للشيوعيين القوة الكافية كانوا يقومون بتوزيع الارض على الفلاحين • ذلك لان اعطاء هوءلاء الفلاحين ما يحاربون من اجله وما يكتسبونه ويدافعون عنه ، انما يعتبر الوسيلة الوحيدة التى تجعل الاعتماد على تأييدهم ممكنا •

كان يجب فى المقام الاول اعادة التفكير فى مشاكل الثورة الصينية ،

وكان ماو قائدا حربيا وزعيما سياسيا يجوب هونان وكيانجسى لتنظيم الفلاحين وتربيتهم ، ويجند جيوشا ويدربها ، ويفلت كل يوم من القبض والهلاك ، ويكافح بلا كلل ضد «المائعين» ، ودعاة الهزيمة ، والمغامرين والمتهورين ، انه لم يظهر كرجل عمل عظيم فقط بل وكمفكر ايضا ، لقد صقلت نظرية الماركسية الصينية فى العمل وبالعمل • ونضجت يوما بعد يوم نتيجة لتجارب مضنية زاولها ماوتسى تونغ العسكرى ، المختص ، المهيج ، فضاعفها فى شكلها النهائى •

فى سنة ١٩٣٠ اعلن تشانج كاى تشيك عن جائزة قدرها ٢٥٠٠٠٠ دولار ثمنا لرأس ماو • وتمكن حاكم هونان من القبض على يانج كاى هوى زوجة ماو وقتلها بناء على امر تشانج ، كان ماو قد بلغ ٣٧ عاما • انه رجل طويل القامة ، يدهش بوداعته من يقتربون منه ويعرف كيف يستمع لهم وينام قليلا ويدخن كثيرا ، يعيش فى غاية البساطة بقش الارز والذرة مع جنوده، وحساء الشعير مع الفلاحين ، ويطل مصباح الغاز فى حجرة ماو مضيئا حتى ساعة متأخرة من الليل • انه يكتب ، وعندما يأمن نظرات الغير يطلق العنان لرذيلة خفية لديه ، يدينها عقله ويباركها قلبه ، انه يكتب بلغة ادباء الصين القدامى ، تلك اللغة التى نصح الكتاب بهجرها لان الشعب لايستطيع فهمها ، انه يكتب قصائد قصيرة نافذة رصينة ، يذكر فيها المرأة التى احبها والتى قتلها تشانج ، وينشد أمل الفجر الذى سيبزغ غدا ، فى أفق الصين •

جمهورية كيانجسى

صاح القائد الوطنى (برتبة كولونيل) مستجوبا : « هل تعرف ماوتسى تونغ ؟ » •

كان الرجل الماثل امامه نحيفا جائعا ، انه « لص » ، أسير احمر ، لقد

اشفق الصحفى الوطنى على هذا المسكين ذى الاسمال البالية انه يستجوب هذا المساء وسوف يعدمونه غدا ٠

كرر الكولونيل السوءال : « هل تعرف ماوتسى تونغ ؟ »

فأضاء وجه الاسير وتكلم ٠

« نعم اعرف ماوتسى تونغ ٠٠٠٠ انه رجل فى غاية البساطة والوداعة، انه يتكلم دائما ليفهمه البسطاء ٠ عليه ان ينادينا فقط ، وسيتبعه الشعب دائما الى اى مكان يريد ٠ انه يهتم دائما بالاخرين ولا يهتم بنفسه ابدا ، انه مصاب بمرض شديد ٠ ويسعل كثيراووجهه شاحب ٠ ومع ذلك ففى خلال المعارك ينام بجوار الجنود الحمر على الارض ويأكل مما يأكلون ٠ وعندما يوءتى له بملابس داخلية يعطيها للجنود ٠ وفى المعركة الاخيرة رأيته بعينى منبطحا على الارض يطلق بندقيته ٠٠٠٠ »

* * *

فى ٧ يناير ١٩٣١ ، فى جوى – تزين عاصمة جمهورية كيانجسى السوفيتية الصينية ، انتخب ماو رئيسا للحكومة ٠ ووضع دستور تقضى مادته الاولى باعلان الدكتاتورية الديموقراطية للبروليتاريا والفلاحين ، التى تستهدف القضاء على بقايا الاقطاع ، وعلى سلطة الاستعماريين ، وتحقيق وحدة الصين »٠

انتخب الموءتمر بواسطة جميع المواطنين والمواطنات البالغين من العمر ١٦ سنة ، واصدر قوانين وقرارات تكفى لتغيير مصير البشر ، فالغى زواج البيع الذى كانت فيه المرأة سلعة ٠ وتحسنت الحالة المالية ٠ والغيت الضرائب القديمة التى كانت ترهق الفلاحين٠ ومنعت زراعة الافيون ٠ وابطلت ديون المرابين ٠ قبيل قيام الحكم السوفيتى ، كان اكثر من ٨٠٪ من اراضى كيانجسى يملكها ٣٠٪ من السكان ٠ وكان ما يدفعه المزارعون لملاك الاراضى يتراوح

بين ٥٠٪ و ٧٠٪ من انتاج القطع الصغيرة « الموءجرة » لهم • أما العمال فكانوا يعملون من ١٢ الى ١٦ ساعة يوميا • انهم الان لايعملون اكثر من ٨ ساعات يوميا • ومع ذلك فقد تضاعف انتاج منجم سان ياو ، وغدا منجم تسافيان يشحن كل يوم ٢٥٠ عربة بدلا من الثمانين التى كان يوردها فى ظل النظام القديم • وفى مركز نان دو نظمت ٣٥٠ مدرسة ابتدائية ، ومئات الحلقات الدراسية للاميين ، وافتتحت جامعة فى العاصمة، ان « اللصوص الحمر » منهمكون فى العمل •

وعلى مياه نهر يانج تسى كيانج تجتاز سفن المدفعية الاوروبية فى حذر مناطق « اللصوص » ويروى الكابتن دى مرفيل ، قائد الاسطول الفرنسى فى اليانج تسى كيانج ، كيف كان يقترع على ضرب القرى « الحمراء » بمدافع سفينته الحربية • فيقول « ان القرى ذاتها هادئة بشكل غريب ومسالمة تماما • ويستمر الفلاحون فى الريف المجاور فى اعمالهم بالحقول وكأنما لايدور القتال على مقربة منهم • فلا طلقات البنادق ولا حتى المدافع تلهيهم عن عملهم » • واذا بدا على هوءلاء الفلاحين المسالمين رغبة فى مقاومة المحتل الاجنبى ، فان الضابط البحرى « الهمام » ينقض عليهم وهو مرتاح الضمير الى حد يدعو للعجب • استمعوا له :

« امطرنا الخنادق بوابل من رصاص المدافع الرشاشة ، فأسكتناها الواحد تلو الاخر • ومنذ البداية تكشفت لنا المجموعة القيادية فى المعبد • فابيحت لنا فرصة اجمل من ان ندعها تفلت وسرعان ما اطلقنا قذيفة عيار ٧٥ احدثت ثقبا صغيرا جدا ، فى الحائط المبنى من الطوب ، ولم نلبث ان رأينا السقف يرتفع والقراميد تتناثر ، لم يخرج احد • والتفت واحد ممن كانوا فى الخارج ويداه على خصره ، فاذا به يطبق بهما فجأة على بطنه ويسقط

مشطورا شطرين : حتى القذيفة الصغيرة عيار ٣٧ عسيرة الهضم ، لقد افاد هذا الدرس لمدة ١٥ يوما على الاقل . ولا يتبادر الى الاذهان انى عديم الاحساس بحكم المهنة او لسبب اخر . ان هؤلاء القوم الذين كان علينا ان نؤدى واجبنا حيالهم كانوا قد ارتكبوا جرائم كثيرة جدا ».

كانت «جرائم» هؤلاء«اللصوص» انهم حرروا شعبهم ، واعادوا اليه الحق فى جنى ثمار عمله وفى عزته وامله ، ويسترسل القائد قائلا :

« ان سفن مدفعية الامم الاخرى لم تتذرع بالحلم مثلنا ، ونظرا لان مدافعها اكبر من مدافعنا فان دروسها كانت اشد وحشية ، وعليهم تقع المسؤولية فى عدم بقاء اى شىء سوى اطلال الجدران المحترقة بينما لم نفعل نحن اكثر من ازالة قبة المعبد ».

ويبدى القائد دهشته من شعور الكراهية ضد الاجانب الذى خيل اليه انه منتشر بين الجماهير الصينية . ولكنه يؤدى مهمته دون ان يسأل نفسه عما يفعل . انه هنا لحماية تجارة ما يسميه فى اعتراف غير مقصود « المصالح الخاصة » . انه يستطرد بسذاجة قائلا : « لايجب ان ندقق فى البحث عن أصل رؤوس الاموال التى تحول التجارة التى تحميها المدافع الفرنسية .

« ثم ما اهمية ذلك ؟ ان العلم الفرنسى يرفرف على بحار كانت تجهله لولا رؤوس الاموال هذه .

« ويهمنا ان نضيف انه لولا حماية الاسطول الحربى الفعالة لذهبت جهودهم عبثا . ان من حسن حظنا ان مصلحة الوطن وشرفه فى الميزان ، الامر الذى يمنع ضباطنا وملاحينا من الاعتقاد بانهم يخدمون فقط هذه المجموعة من المصالح الخاصة » .

ان للبحرية الفرنسية بالفعل رسالة كبرى تحتم وجودها هنا ، حتى ولو كانت حماية مصالحنا التجارية لاتتقبلها » •

لم يكن ماو تسى تونغ فى ذلك الوقت سوى زعيم « لصوص » ركزت عليه جيوش تشانج كاى تشيك ومدفعية سفن اوروبا ضرباتها ، ولكن زميله الجنرال شوته يروى لنا انه « فى ذلك الوقت كان الرفيق ماو تسى تونغ يرى فعلا ان لهذا الجيش الصغير الضعيف مستقبلا عظيما • ولكى يرسم لنا معالم مستقبل هذه الثورة ، كان يذكر لنا المثل الصينى القديم « قد تشتعل النار من الشرارة » •

دكتـــاتورية تشانج كاى شيك

بينما كان ماوتسى تونغ فى كيانجسى بجنوب الصين يبنى الجمهورية الاشتراكية السوفيتية [1] الصينية الاولى كانت هناك امورا اخرى تجرى فى بقية انحاء الصين •

ذكر الزعيم الاشتراكى البلجيكى اميل فارندفلد لدى عودته من الصين عام ١٩٣١ انه كان يعتقل يوميا فى مدينة هانجشو الساحلية « رجالا ونساء جريمتهم الوحيدة انهم تقدميون ، او بلغ عنهم بانهم من انصار ماوتسى تونغ• انهم يعدمون كل مساء بالقرب من مبنى الجمارك • وعلى مقربة من ضفة النهر، فيركع المحكوم عليهم وايديهم مربوطة خلف ظهورهم فى صف واحد بين الواحد والاخر عدة امتار • ويقف من ورائهم جندى مسلح بمسدس من عيار كبير يصوبه الى ظهر المحكوم عليه اسفل الرقبة بقليل • ثم يطلـــق رصاصاته الواحدة تلو الاخرى حتى تخر اخر جثة على الارض • ان انصار ماوتسى تونغ يواجهون الموت وهم يهتفون بشعارات ضد المجتمع » وهنا يتنبأ الزعيم الاشتراكى « من المتوقع فى هذه الظروف ان يتم الاجهاز على الشيوعيين قريبـــا » •

وذكر القائد ر ـ دى مرفيل القائد الفرنسى لاسطول اليانـــج تسى

---

١ ـ انشأ ماو فى ذلك الوقت جمهورية اشتراكية على الطراز السوفييتى

كيانج بعد رجوعه من الصين • ان الشيوعيين كانوا يقتلون كل يوم بالسيف في هانكيو على اليانج تسى كيانج :« جنديان خلف صفوفهم ومع كل منهما سيف ثقيل يتدلى من حزامه الاحمر • وهنا وهناك تراهما يمسكان برأس احدى الضحايا ويعدلان من وضعهما فتميل ، اما الى اليمين او اليسار ، ويحنيان قامة ، ويرفعان ذقنا • ويكاد المرء يعتقد انه في استوديو للتصوير • ثم يتناول كل منهما سيفه بيديه ، ويرفعه ويهوى به كالبرق فتتردد الرأس لحظة ثم تتدحرج على الارض ، ويتدفق الدم كالنافورة ثم يرتخى الجسم فجأة ويتهاوى في بركة حمراء تزداد اتساعا • اتعتقدون ان الاخريـن الذين ينتظرون دورهم قد تحركوا ؟ ••• لاحاجة هنا للاستعاضة برجال اشداء لتقييد شخص يقاوم او لمساندة جبان خلال اللحظات القصـــــيرة التى تسبق الاطاحة به الى العالم الاخر ـ ان الضابط البحرى الهمام يتندر على الشيوعيين ويجرب حظه عليهم ، كما رأينا ، بمدافع سفينتهالحربية : « ان هوءلاء القوم انصاف البدائيين مولعون بالكلام ان حشو الدماغ هو الاساس الجوهرى لسياستهم ••• انهم شجعان ولكنهم ليسوا متهورين ، كما يقال في مرسيليا » • ومعنى هذا الحكم الذى يبديه القائد الهمام ان الفلاحين لايظهرون عندما يطلق مدفعيته على القرى الشيوعية •

ان الوسيلة الجوهرية التى يرتكن عليها تشانج كاى تشيك في حكمه هى قوة البوليس السرى • ان الاستاذ الشهير شانج هسى مو المثقف الصينى الحر ، ومدير قسم العلوم السياسية بجامعة كونمنج ، ومن اعضاء الكومنتانج القدامى ، وعضو مجلس الشعب يصرح بقوله « لقد احتكرت السلطة شيعة سياسية رجعية للغاية مستبدة للغاية •• والقت بالشعب في الخراب والبوءس• ان حزب الكومنتانج يوءكد انه حكومة شرعية ••• ولكنه من الناحية الادبية

لايعدو كونه لصا » وهاجم رجل فرنسى عجوز يقيم فى الصين يدعى ناشبور ويعمل مديرا « لجازيته بكين » الرقابة التى تمنع ظهور الصحف وتلقى بمحرريها فى السجن ، كما انتقد البريد الصينى الذى يحظر تداول الجرائد المنسوب اليها نشر « اخبار لاتروق تشانج كاى تشيك ووزرائه » •

فى مصانع غزل الحرير بشنغهاى كان الاطفال البالغون من العمر ثمانى سنوات يعملون اثنى عشر ساعة يوميا يغمسون الشرانق فى الماء المغلى فتحرق اياديهم المتشققة فى احواض الماء الذى تربو درجة حرارته على الستين • وبالمدينة ذاتها جمعية خيرية اخذت على عاتقها جمع جثث الاطفال التى يلقى بها اهلوهم فى الشوارع لعجزهم عن شراء التوابيت اللازمة لدفنهم • ولقد عثرت هذه الجمعية خلال النصف الاول من عام ١٩٣٠ على ١٩٠٠٠ جثة طفل ملقاة على قارعة الطريق •

ان تشانج كاى تشيك وعصابته قد ارهقوا الشعب بالضرائب والرسوم دون ان ينجح فى تثبيت النقد او تحسين الحالة المالية • ففى عام ١٩٣٠ كتب شوباى ينج رئيس التحرير السابق لجريدة الكومنتانج المركزية « ان الخزانه العامة وجيب تشانج شىء واحد • لقد اقام حكومة عائلية وعين فيها شقيق زوجته وزيرا للمالية ، وعديله وزيرا للتجارة ، وواحد اقاربه وزيرا للخارجية وكون اولئك القوم شركة لتلقى الرشاوى واستيراد الافيون سرا ، واودع تشانج ٥٠ مليون دولار فى البنوك الامريكية ، بينما ازداد الدين الداخلى بمقدار ٥٠٠ مليون دولار » • لقد سادت الفوضى المالية ، فأخذت حكومات الاقاليم تصدر عملة صغيرة ليست لها قيمة الدولار الـ «يوان» الذى هو العملة الوطنية • ان الدولار يساوى ١٠ او ١٣ أو ١٥ او ١٧ سنتا تبعا لنوع العملة المتداولة •

اما فى المجال الثقافى فقد سادت الامية الجماهير ، اذ اكتفى تشانج بتثقيف حفنة من شباب البورجوازية ، تحت اشراف البوليس الدقيق ، ان وزير التربية (سن لى فو) هو فى الوقت ذاته وزير التنظيم والدعاية ورغم هذه الوصاية التى فرضتها السلطات على التعليم ، ظل الطلبة والمدرسون دائما مركز للانتفاض ضد استبداد تشانج • ولم تنل من المثقفين الصينيين اعمال القبض والاعدام والاغتيالات والنفى فى معسكرات الاعتقال ، وعندما القى الاستاذ ماين شو خطابا هاجم فيه محسوبية تشانج ، لم يلبث ان اختفى بعد بضعة ايام ، وقتل الاستاذ لى كن جو ، وعذب الدكتوران لو يونج شى وشانج لا ، بالرغم من انهم لم يكونوا من الشيوعيين فى يوم ما ، وكتب ج•ج• برايو لدى عودته من الصين « هل يتصور انه يمكن اعدام او تعذيب المسيو اندريه سجفريد [١] أو الاستاذ جيز [٢] أو المسيو فالون [٣] » • (نعم يتصورون ذلك فى ظل الحكم الهتلرى)•

نعم لقد اثارت دكتاتورية تشانج الدموية الاعتراضات من داخل حزبه ذاته • ففى سنة ١٩٣٠ انشأ بعض زعماء الجناح اليسارى فى الكومنتانج هيئة هدفها القضاء على «موسولينى الصين» الجنرال تشانج كاى تشيك • وتحالف تشانج مع طوقيون مانشوريا • شوليانج دكتاتور موكدن وابن الماريشال نسولين • ان طاغية موكدن يخشى بدوره انتصار حكومة ديموقراطية « يكاد لايوجد شخص واحد يشغل مركزا كبيرا فى حكومة موكدن ليست لـه مصالح شخصية فى منشوريا فى شكل عقود امتياز اراض او مناجم ،وبطبيعة

---

١ ــ اديب وكاتب سياسى واستاذ فى جامعة باريس
٢ ــ من اشهر اساتذة القانون العام فى فرنسا
٣ ــ عميد المدرسة الحديثة فى علم النفس فى فرنسا

الحال تعمل هذه المجموعة من الرأسماليين السياسيين جاهدة على القضاء قضاءا مبرما على كل محاولة من جانب الجناح الايسر للكومنتانج لتحقيق اشتراكية الدولة ، (جريدة نورث تشاينا تيمز عدد ١٤ اكتوبر ١٩٣٠) • ادى تحالف تشانج كاى تشيك وطاغية موكدن الى فشل المحاولة التى حاولها جناح الكومنتانج الايسر للقيام بثورة ، وغداة انتصار تشانج كاى تشيك جرت مناقشة حادة جدا بينه وبين رئيس اليوان التشريعى (مجلس النواب الصينى) هوهان مين ، زعيم الجناح الايمن للحزب ، الذى طلب منه ان تضفى على دكتاتوريته بعض صفات «الديموقراطية» الظاهرية ، فأمر تشانج بالقبض عليه وجمع اللجنة المركزية للكومنتانج واستصدر قرارا بعزله «بناء على طلبه» على حد تعبير البلاغ •

ارتشاء الساسة ، ارهاب بوليسى ، افلاس الدولة ، بوءس الجماهير هذا ما فعله تشانج كاى تشيك باسم مبادىء صن يات سن : الاستقلال القومى، حق الناس ، رفاهية الشعب •

وبينما كان تشانج يشدد من قبضته الحديدية على باقى الصين ، وصل صحفى امريكى من كيانجسى الى المنزل الخشبى الصغير ، ذلك المنزل الذى كان يحكم منه ماوتسى تونغ انذاك شعبا يوازى تعداده نصف تعداد سكان فرنسا • كان الصحفى الامريكى فضوليا جدا • انه يريد باى صورة من الصور ان يعرف ما اذا كانت الشيوعية تعتبر علما او دينا • ولقد اجاب ماو « يمكن ان تسميها دينا ان كان هذا يروقك ، لانه دين خدمة الشعب»•

المسيرة الكبرى ١

في يناير سنة ١٩٣٤ ، ضربت القوات الوطنية الحصار حول جمهورية كيانجسى السوفيتية . وحاول تشانج كاى تشيك اخضاع الاقاليم الشيوعية بتجويعها .

اما الجيش الأحمر فكانت قوته الوحيدة تتركز فى خضوع متطوعيه للنظام . ولم يكن لديهم اسلحة سوى تلك التى يستولون عليها من العدو . ان معظم المحاربين مسلحون بسيوف وسكاكين . وليس لدى المحاصرين فى كيانجسى من الاسلحة سوى بضع عشرات الالاف من البنادق . ومئات قليلة من المدافع الرشاشة ، وعشرات من المدافع ومدافع الهاون . وهذه هى الاسلحة التى سيشنون بها هجوم اليأس فى اتجاه البحر . لقد نجحوا ، واخترقت الجيوش الحمراء الحصار ، واجتازت حدود فوكين واتجهت نحو ميناء فوشو ، وعندئذ استدعى تشانج من الشمال الجانب الاكبر من جيوشه. وانهال على كيانجسى وفوكين هيئة من اركان حرب والمستشارين العسكريين الالمان وجيش من ٧٠٠ر٠٠٠ جندى ، مسلحين احسن تسليح ، وعدد كبير من الطائرات . دفعت هذه القوات الجيوش الشيوعية واستولت على جوى تزين عاصمة ماوتسى تونغ .

عقد ماو وشوته والقادة الشيوعيين مجلس حرب لم يبق لهم مـــن

الثلاثمائة الف مقاتل الذين كانوا تحت قيادتهم سوى ١٤٠٠٠٠ • وما زالت هناك في شمال الصين جيوب شيوعية في صحارى شنسى الجبلية المقفرة • والتى سوف تدور فيها الحرب التى لامفر منها • وستقع على عاتق الجيوش الشيوعية فيها اعظم الواجبات • ذلك هو المكان الذى يجب الذهاب اليه والتجمع فيه • واذا كان من المتعذر اجتياز الصين الوسطى والصين الشمالية فسوف تدور من حولهما • وفى الوقت الذى كانت فيه كتيبتان تشنان هجوما فى اتجاه البحر لتشغل العدو واخلاء الطريق امام قوات المؤخرة ، وتفادى الاشتباك مع العدو ، تحرك الجيش الاحمر فى اكتوبر ١٩٣٤ ليبدأ اعجب مغامرة حربية فى العالم • وهى ما أطلق عليه « المسيرة الكبرى » • هنالك ٥٠٠٠٠٠ رجل تحت قيادة الجنرال الالمانى فون سيكت ينتظرون جيش ماوتسى تونغ لابادته • أقام الوطنيون أربعة خطوط متوازية من الاستحكامات الممتدة من الكيانجسى الى حدود كويتشيو • وعبر ٥٠٠ كيلو متر خاض ماو المعارك ضد جيوش تشانغ طورا ، واستمالها طورا اخر • وطوال ١١ الف كيلو متر اشترك ١٤٠٠٠٠ رجل فى معارك عبر الريف الاخضر والصحارى الجرداء ، وعبروا ٨١ سلسلة من الجبال ، و ٢٤ نهرا كبيرا و ٢٠٠٠ نهير ، واستولوا على ٦٢ مدينة ، تلاحقهم عصابات امراء الحرب المحليين ، وتطاردهم الجيوش الوطنية • اضناهم البرد والمجاعة والامراض ، لاتستر اجسامهم سوى خرق بالية ولكنهم اقوى من ان يقهروا ، لقد وصل منهم اربعون الفا بعد ان قاتلوا اثناء مسيرهم مسافة تقرب من تلك التى تفصل بين اسطنبول وجرينلاند •

وهاد ضيقة تنساب عميقة •

جبال تنصب قامتها وعرة موحشة ٠
والجيش يمتد كالذراع الهائل
يخط المسالك فى الصحارى الرملية الكبرى
علينا ان نعانى الحر القائظ
علينا ان نتحمل الهواء البارد
تارة نرى الصيف يحرق اوراق الشجر
وتارة يجمد الشتاء السيول ٠

لم يكن الخط المستقيم اقصر طريق من كيانجسى الى شنسى بالنسبة لجنود « المسيرة الكبرى » لقد ساروا اول الامر فى اتجاه الغرب واجتازوا كيانجسى وخونان ، ثم اتجهوا شمالا ، واضطروا الى الاتجاه جنوبا تحت ضغط الجيوش الوطنية ، حيث كان ٤٠٠ الف من الرجال المسلحين تمام التسلح ينتظرونهم فى اقليم كويتشيو ، قرر الجيش الاحمر تخفيف معداته والانطلاق فى طريق مهجور تماما على تخوم التبت ٠٠ وبلغ ماو مقاطعة شنسى فى طريقه الى الشمال عبر الصحارى والسهوب وجبال يغطى قممها الجليد ، وفى غرب الصين الموحش شق سبيله لدى قبائل فان وهوزا وميلو ونوصص ولولو البدائية ، وعبر مجارى السيول المنحدرة من الجبال الشاهقة على معابر من خشب الاشجار والخيزران ٠ وفى بلدة كوى تشيو كانت تنتظرهم خمسة جيوش وطنية عند اجتيازهم نهر رو ٠ وسرعان ماعبر عشرون جنديا النهر البالغ عرضه ٤٠٠ متر اثناء الليل فى قارب تحت وابل من نيران العدو ، واستولوا على قواربه وانشأوا رأس جسر مر عليه الجزء الاكبر من الجيوش ٠ ولكى يعبر جيش الشعب نهر اليانج تسى تظاهرت فرقة من الرواد بانشاء كوبرى فاسترعت بذلك انتباه الطائرات والجيوش الوطنية ،

بينما كان العبور الحقيقى يتم على معابر بعيدا عن هذا المكان • وفى جبال سيتشون تسببت قلة كثافة الهواء فى انهاك الجنود ، فأخذوا يزحفون بصعوبة خلال دروب ضيقة باعالى الجبال • وفى البحيرات المقفرة سمك لم ير البشر قط ولا يخشاهم ، ويسير الرجال فى غابات تبلغ من العمر الاف السنين ويطأون بأقدامهم اكواما لا عد لها من الاوراق ويتغذون بالفطريات والفواكه البرية • وفوق جبل الثلوج الكبير تتجمد الاقدام من البرد ويختنق الرجال من جراء العواصف الجليدية العنيفة • ويروى ماو : « لاادرى كيف افلت • لقد سقط بعضنا بلا حراك • كنا نظنهم احياء ولكنهم ماتوا من البرد • كانت الحالة افضل من السهول ، وهنا ايضا كان علينا ان نواجه الكثير من المصائب، فقبيلة لولو تكرهنا ، ولكننا اقنعناها بقضيتنا فغدت على استعداد لتفعل اى شيء من اجلنا • ان الاماكن التى لم يطرقها احد من قبلنا كانت من الكثرة والوحشة بحيث اننا تساءلنا عما اذا كنا قد بلغنا نهاية العالم • لا ادرى من اين اتتنى القوة وقتئذ ، واذكر اننى سرت لعدة ايام متوالية بلا توقف » •

المســـيرة الـــكبرى ٢

يسير الجيش الاحمر منذ ٤ شهور فى زمهرير الشتاء القارص عبر اليانج تسى كيانج الذى يجرى فى واد موحش ملء بالصخور والاحجار المدببة الحمراء والضفاف الشديدة الانحدار ، ثم بعد امام مشردى الحرب الاهلية جيوش معادية الى حين ، ليس عليهم الا ان يواجهوا البرد والجبال والقبائل الهمجية ، والمجهول ، ظهرت الجماعات الاولى من قبيلة لولو ، انهم عمالقة اشداء متوحشون ، يرتدون معاطف من الجوخ الاسمر ، وعـــلى رووسهم منديل ازرق على هيئة قرن • ومنذ اجيال واللولو ينزلون الى السهل الصينى يبادلون شمع حشراتهم (تتميز لدغتها بخاصية اسالة شمع رفيع جدا من اشجار معينة) باقمشة واسلحة ونقود • ويسيطر على شوءون قبائل لولو كبار الاقطاعيين يطلق عليهم «نزيموس» او امراء ، وهم يتحكمون فى مجموعات متفاوتة الدرجات من المحاربين والتابعين والاقنان والعبيـــد ــ وسيضطر ماو الى التذرع بالصبر فى التفاوض بشأن مرور جيوشه مع رئيس كل عشيرة وسوف يشرب معهم « ماء النار » • ثم يسير الجيش الاحمر بارشاد المحاربين اللولو المسلحين برمحهم الضخم • والشوكة المثلثة الاسنان، والقوس ، والجعبة ، مجتازا فى بطء قمما يزيد ارتفاعها على ثلاثة الاف متر ويعبر الهضاب المغطاة بحشائش لم تقطع فى يوم من الايام ، وينزل من جديد

بين غابات الصنوبر والخشب وادغال الازالية التي تتفتح في الربيع ، ويعبر ماو ورجاله الجبل الشهير باسم رأس التنين والذي يطلق عليه الصينيون تشيوشان الطويل ويسميه لولو شونولبفو ، انه جبل هرمي الشكل منتظم ذو قمة رفيعة يزيد ارتفاعها على خمسة الاف متر ، كما يعبرون جبل شماسفي شان او جبل الثلوج الكبير ، ثم يعسكرون بجوار اسوار كياو كياو التي مني بجوارها الجنرال الصيني تشيو عام ١٨٦٨ بهزيمة منكرة على ايدي فرسان اللولو . وجد ماووزجاله وراء كياو كياو كلبين مصلوبين فأدرك على الفور ان الحرب قد اعلنت بين عشيرتين ، اذن لابد من التفاوض والمناقشة لمواصلة المسير . ان تجمد الاطراف والاسقربوط والدوسنطاريا تهدد بابادة هؤلاء الهاربين من اجل الحرية ، الماضين في توغلهم شمالا عبر حقول الثلج والهضاب وانهيارات الجليد ، ويحدث احيانا ان يفقد الفارس وجواده التوازن فيسقطان في الهاوية السحيقة .

في ذلك العهد كتب ماو تسي تونغ قصيدة من اجمل قصائده عن وصوله الى نيان :

السماء عالية والسحب تحلق .
انظر الى الجنوب فأرى الاوز المتوحش يختفي في الافق
واعد على اصابعي ـ مسافة ٢٠٫٠٠٠ لي (١)
اقول اننا لسنا ابطالا ان لم نبلغ السور العظيم .
وقفت على أعلى قمة في الجبال الست .
والعلم يرفرف في النسيم الغربي .
اليوم ، وفي يدي حبل طويل .

---

١ ـ لي = ٥٧٦ مترا تقريبا

وسألت نفسي متى نستطيع تكبيل الوحش •

واخيرا بلغ الجيش الاحمر تانسيين لو مفتاح التبت فى فصل الربيع حيث كانت الجيوش الوطنية تقف له بالمرصاد امام نهر تاتو الذى يعد من اشد انهار الصين امتناعا على العبور •

مازال الصينيون يذكرون اندحار القائد المتمرد شيه تى كاى اثناء ثورة التابينج سنة **١٨٥٣** على يدى جيوش الامبراطور التى كانت تنتظره فى نفس البقعة التى عسكر فيها تشانج بقواته • ولكن الجيش الاحمر استولى بقوة اليأس على الكوبرى الوحيد القائم على النهر ، والذى دمرت طائرات الوطنيين الواحه الخشبية ولم يبق منه سوى هيكله الفولاذى ، واعمدتـــه • وبينما كان الوطنيون يمطرون جنود ماو برصاص المدافع الرشاشة بلا انقطاع تشبث رجال السلاح المهندسين بالكابلات والاعمدة ونجحوا فى اصــــلاح الكوبرى وعبوره على الرغم من خسائرهم الفادحة •

وعلى الحد الفاصل بين التبت والصين ، تجنب الجيش الاحمر المناطق التى تحكم فيها العدو ، واخذ يتقدم عبر جبال التبت العامرة بالقرى والقصور الحصينة والاديرة ، يشرب مع اللاما (١) الحذرين الشاى المخلوط باللبن الخض وبيرة اللبن المخمر • وهنا ايضا كان لابد من التفاوض ، وارسال السفراء فى مقدمة الجيش ، واستمالة « الالهة الاحياء » المسيطرين على الاودية وممرات الجبال وطمانة المحاربين الرحل من أهـــل التبت ذوى القبعـــات المخروطية المصنوعة من جلد الخراف • وقبل بلوغ مدينة لان نشيو التى تعسكر فيها حامية وطنية قوية ، ينحرف ماو تسي تونغ غربا ، ويلتقى جيش المسيرة الطويل خلال سهول سيو تشوان وكانسو بقرى الصين وفلاحيها

---

١ ــ رجال الدين فى التبت

من جديد ان الرجال فى حالة اعياء ، والطريق الذى امامهم تعترضه اكثر من معركة لابد من خوضها • ويرى بعض رفاق ماو التوقف فى مقاطعة سيوتشوان وانشاء قاعدة حمراء بها • ولكن الانباء الواردة من الشمال الغربى تؤكد صحة المعلومات التى وصلت لماو : هناك تهديد من جانب اليابانيين الذين دخلوا الصين ووقعوا فى مايو ١٩٣٣ هدنة غريبة مع تشانج • ان جيش الشعب يجب ان يوجد حيث يجب الدفاع عن ارض الصين • لا ضد اليابانيين فحسب ، بل وضد خيانة رجال الكومنتانج الذين على استعداد للتحالف مع الغزاة اليابانيين ضد الشيوعيين • استأنف الجيش الاحمر سيره ، تاركا اولئك الذين يريدون التوقف • وقد اشارت قصيدة ماو الرائعـــــــة الى هذه المرحلة الاخيرة •

لم يكن فى الجيش الاحمر من يرهب متاعب السير الطويل •
كنا ننظر باحتقار الى الالف قمة والعشرة الاف نهر
كانت الجبال الخمسة تعلو وتهبط كالامواج •
وجبال وليانج لم تعد سوى حصى صغيرة خضراء •
كانت الوهاد الوعرة ساخنة يقفز من فوقها نهر الرمل الذهبى •
وفى ارجاء جبل مين المكسوة بالثلوج •
وبعد قهر اخر عقبة كانت الجيوش الثلاثة تبتسم ، سعيدة •

فى مستهل ربيع ١٩٣٥ ، بعد الارتحال من كيانجسى بثلاثمائة وثمانية وستين يوما ، وصل من بقى على قيد الحياة بعد السير الطويل ، خلال جبال قاحلة جرداء ، الى واد لاشجر فيه ولا زرع ، وهرع الفلاحون من اكواخهم يستقبلون الابطال ذوى الاقدام الدامية • انها « ينان » العاصمة الجديدة للصين الحمراء •

ماوتســـي تونغ في ينــــان

ينان مدينة صغيرة بمقاطعة شنسي تحوطها جبال اللوس الصفراء متربة ، يسكنها عدد صغير من الفلاحين يسيرون في دروبها المفروشة بالحصى بجوار خيولهم ذات البرادع المحلاة بالمسامير النحاسية ، كانت هذه المدينة قديما احدى قلاع الحدود في الصين ، وعلى اسوارها تحطمت غزوات برابرة الشمال • وهي اليوم قائمة حول ضفاف نهرين ذي الماء الاصفر ، لاتعدو كونها قرية كبيرة يلعب في دروبها الاطفال عرايا وفي شوارعها تعتلف الخنازير الضخمة • وعندما جعل منها ماو تسي تونغ عاصمة للجمهورية السوفييتة الصينية الجديدة لم يكن امامه مجال للاختيار ، فهناك فقط كان في وسع الشيوعيين ان يتلافوا التطويق • وفي عزلتهم بالجبال المقفـــرة تمكنوا من اعداد العدة لحرب التحرير والمقاومة واستطاعوا ان يصوغوا مبادىء العمل التي انقذت الصين فيما بعد من النير الاجنبي ومن طغيـــان تشانج كاي تشيك معا •

منذ بداية الحرب الصينية اليابانية في خريف ١٩٣٧ كانت طائرات العدو تركز ضرباتها على العاصمة الحمراء ، دقت القاذفات اليابانية ينــــان حتى اتت عليها تقريبا في بضعة شهور • هكذا كان يأمل اليابانيون طرد ماو تسي تونغ والشعب من هذه البقاع • ولكن الشيوعيين وفلاحي شنســـي تشبثوا بواديهم فتركوا خرائب ينان واعادوا بناء مدينة في الكهوف ومن داخل

الصخور ، لاتوءثر فيها القنابل • وتفرقت المكاتب والمطابع والادارات والمساكن في الجبال وفي الاودية الثلاثة الموءدية الى ينان • وامام الاقبية ، وعلى حافة منحوتة من الصخر ، كان وزير الخارجية يزرع الطماطم ويعني ماو تسي تونغ ببعض اشجار الطباق والفلفل الاخضر (« رذائله » المفضلة) • وعندما تهطل الامطار ويفيض النهر كانت صلتهم تنقطع ببقية انحاء العالم ، ويتعين عليهم الانتظار بضع ساعات حتى تهدأ المياه ليتسنى لهم زيارة قبو اللجنة المركزية للحزب او قبو المستشفى • وفي اقبية الجامعة كان يعيش بضع مئات من الطلبة • وسرعان ما اصبحت هذه الجامعة الفقيرة « جامعة المغارات » من اكثر المراكز الثقافية حيوية في الصين بأسرها • فكثير من الطلبة كانوا يجتازون الخطوط الوطنية للذهاب الى قرية محترمة يقدم بها افضل تعليم في الصين كلها • اما زعماء الجمهورية السوفيتية الصينية في شنسي فكانوا يرتدون ملابس وطنية قطنية كملابس الفلاحين تماما ، ويعيشون في المغارات مثل بقية الافراد الذين تحت امرتهم ويأكلون من اكلهم • لقد كانت الجمهورية السوفيتية الصينية تبدو في نظر زائري ينان الاجانب المعدودون كمستعمرة صغيرة من الخياليين تحكم مملكة وهمية •

ولكي يصل المرء الى قبو ماو لابد له من السير في طريق وعر بين سنابل القمح وشجيرات الطماطم • ينزلق تارة ويتعثر اخرى بسبب الوحل المتكون نتيجة لسقوط الامطار • كان ماو وزوجته واولاده يعيشون في مغارتين مطليتين بالجير ومضاءتين بشمع السلجم او مصابيح الغاز • وخلال السنين الاولى من الاقامة في ينان كان ماو يشكو من حرمانه من الارز • وفي النهاية سئم « اهل الجنوب » حساء الذرة فزرعوا الارز في احد الوديان الدافئة التي تصلح لزراعته في اقليمهم •

لقد استقبل فلاحو شنسى هذا الجيش من المشاة الامجاد القذريـــن بشعور مختلط من الحيرة والخوف • ان الفـــلاح الصينى منذ قرون عديدة ينظر الى العسكريين الوافدين كما ينظر البدوى الى الجراد ، نظرة ملوءها الرعب والفزع • وفى ذلك يقول شاعر قديم •

انهم يطالبون بالتبن والحبوب للخيول •
ويطالبون بالقمح للرجال •
ويستولون على الطيور والخنازير •
انهم يأخذون كل شىء •
والجنود فرحون ، انهم يأخذون الكثير •
والشعب يشكو انه يفقد الكثير •

ولكن اهالى شنسى اكتشفوا بعد بضعة شهور ان ذلك الجيش لايشبه الجيوش الاخرى • لقد انكب الجنود على العمل مع الفلاحين الذين وزعت عليهم اراض كبار الملاك • ونقصت الضرائب وازدادت غلة المحاصيل •

كانت الثورة تسير قدما على طول نهر سن • وكتب جون ك • فيربانك ، مبعوث وزارة الخارجية الامريكية ، يصف تلك الثورة التى كان ماو تسى تونغ يضع نظريتها فى تلك الفترة : فقال : « ان هدف الثورة خلق حياة جديدة للجماهير الصينية • ويجب ان تبدأ هذه الحياة الجديدة بتحسن الاحوال المعيشية للفلاح • وهذا التحسين لايمكن تحقيقه الا بممارسة السلطـــة السياسية التى هى فى الوقت الحـــــالى حـــق مكتسب لصاحـب الارض وللطبقات المالكة • ويجب ان تسترشد الثورة فى كل مرحلة باحتياجات الفلاح • وعلى كوادر الحزب ان يعيشوا فى القرى ، عليهم ان يعملوا مع الفلاح ، وان يأكلوا من اكله ، وان يرشدوه فى امور حياته ، وان يفكروا

فيما يفكر فيه » • وفى كل قرية بقاعدة ينان اختلط المناضلون الشيوعيون بالفلاحين وعلموهم ان يدلوا بصوتهم فى الانتخاب بوضع الفاصوليا فى اناءة وفتحت مدارس للاطفال والكبار يتعلمون فيها القراءة والكتابة • وتأسست جمعيات تعاونية • وبدأ كل فلاح يحب ويحترم الرئيس ماو تسى تونغ • الرجل الذى « كان يفكر فيما يفكرون هم فيه » •

من الحـــرب الوطنيــة الى الحــرب الاهليــة

توفيت الامبراطورة تسو هى وابن اخيها الامبراطور كوانج سى عام ١٩٠٨ ، فخلفهما الامبراطور بو يى البالغ من العمر ثلاث سنوات ، وعلى الرغم من صغر سنه كان بو يى ناضج العقل لدرجة غير عادية واية ذلك انه عقب توليه الحكم اصدر مرسوما يبدأ بالعبارة الاتية : « بما انه تعوزنا الفضائل وسننا صغير ، فاننا نخجل من تولى الحكم خلفا للامبراطور الراحل، الذى كان واسع العلم كثير الشمائل •

انهارت سنة ١٩١١ الامبراطورية الصينية واعلنت الجمهورية • وقد يظن البعض انه لم يعد هنالك الامبراطور ولكن الامبراطور كان فى الواقع يعيش فى بكين على نفقة رئيس الجمهورية ، وكان يتولى ذلك المنصب سنة ١٩٢٥ شخصان : احدهما المرشال تشانج صولين رئيس الجمهورية فى بكين والثانى صن يات سن رئيس الجمهورية فى كانتون • ونشرت جرائد بكين وقتئذ اخبارا اثارت دهشة الاجانب • « صدر فى ١٥ مارس الماضى مرسوم امبراطورى يقضى بترقية يونج يوان الى رتبة ماندارين من الطبقة الاولى ، وتعيينه فى الحرس الامبراطورى لصاحب الجلالة ، ومنحه امتياز ركوب الخيل فى المدينة المحرمة » •

فى سنة ١٩٣١ غزت اليابان منشوريا • وفى اول مارس ١٩٣٤ فى

سين كنج نصب اليابانيون على عرش الامبراطورية الجديدة التى اسسوها شخصية اصدق « تمثيلا » واجدى بكثير من حيث المظاهر من أى (مرشال بيتان صينى) • انه صاحب الجلالة الامبراطورية كانج تى ، (سابقا بو يى) الذى « خجل » وهو صغير من خلافة المغفور له كوانج ـ سى •

وبينما كان تشانج كاى تشيك يركز كل قواه ضد الشيوعيين الصينيين، اخذ ضغط اليابانيين فى الازدياد على شمال الصين ، ولم يخف اليابانيين نواياهم ، اذ يقضى مشروع تاناكا بانقضاض الجيش اليابانى على الصين فى موجات متتالية لتحقيق وحدة اسيا الشرقية الكبرى تحت اشراف طوكيو ، واجتازت الجيوش اليابانية فعلا السور العظيم واحتلت مقاطعات جهول وشاهار وسوى ـ يوان ، ووقعت مع تشانج سنة ١٩٣٣ هدنة تانج كو المشينة ولم توقف تقديم اليابانيين الذين كانوا يمهدون الطريق امامهم بتنظيم طابور خامس عسكرى وسياسى •

عندما كان الجيش الاحمر فى سيره الطويل يحارب جيوش تشانج كاى تشيك ، وجه ماو نداءا يدعو فيه الى الوحدة القومية • ان زعيم الشيوعيين الصينيين الذى استباح تشانج كاى تشيك دمه واستباح ذبح انصاره وتعذيبهم فى جميع انحاء الصين ، والذى تقود جيوشه المعارك يوما بعد يوم ضدجنرالات الكومنتانج ، هذا الزعيم يحث الدكتاتور الصينى على فتح عينيه وتقديم المصلحة الوطنية على المصلحة الطبقية • يقول بيان اغسطس ١٩٣٥ : « اذا استمر العدوان ، فان بلادنا التى يرجع تاريخها الى خمسة الاف عام سوف تتحول الى مستعمرات ••• لقد اصبحت مقاومة الغزو اليابانى واجبا مقدسا على كل مواطن صينى »•

كان لهذا الموقف صدى هائل لدى جماهير الشعب الصينى ، اذ هز

اولئك الذين كلفهم تشانج كاى تشيك بمحاربة ماوتسى تونغ • مثل ابن تشانج صولين المدعو تشانج هسو ليانج الذى كلف بأن « يسحق » الجمر بجيوشه ، هذا بينما كان الغزو اليابانى يتقدم على بضع مئات من الكيلو مترات• لقد ادرك تشانج هسو ليانج مافى المهمة الموكولة اليه من حماقة اجرامية • ان همه الاول كان محاربة اليابانيين ، لذا وقع عام ١٩٣٦ هدنة مع ماوتسى تونغ • ولكن تشانج كاى تشيك استقل طائرة الى مركز القيادة العامة لتشانج هسو ليانج ، وأمره من جديد بمحاربة الشيوعيين قبل اليابانيين ، وهدده بالعزل اذا رفض • فرد تشانج هسو ليانج على ذلك بالقبض على تشانج كاى تشيك نفسه وصرح قائلا : « ان الحكومة المركزية لم تبد مقاومة حازمة فى وجه اليابان وانكشف هذا الموقف بوجه خاص فى المفاوضات البطيئة والبطش بالحركات الوطنية • » وطالب بعض اعوان تشانج هسو ليانج ببساطة بقتل تشانج كاى تشيك •

ما الذى يفعله ماو تسى تونغ والمكتب السياسى فى ينان وقتئذ ؟ ان تشانج كان تشيك مسئول عن موت الالاف من زملائهم (وفى مقدمتهم زوجة ماوتسى تونغ) وهو الذى حاربهم وطاردهم وابادهم وسبهم طوال عشرين عاما • كان يتهمهم بالخبث والنفاق كرد على جميع نداءاتهم لتحقيق الوحدة الوطنية • ولكن ماو رأى ان موت تشانج او تنحيته سوف يوقعان الصين فى اضطراب لن يستفيد منه سوى اليابانيين • وبينما كان تشانج كاى تشيك فى سجنه يقرأ التوراة (التى طلب الى سجانه احضارها) ، غادر شو ان لاى ويه شين ينج ينان مزودين بتعليمات ماو تسى تونغ وذهبا الى سيان للمفاوضة فى الافراج عن تشانج كاى تشيك • كانت شروطهما هى وقف القتال بين الشيوعيين والجيوش الوطنية • وان يكون النضال ضد الغزو اليابانى هو المبدأ

الموجه لسياسة الصين كلها • وفى ٢٥ ديسمبر ١٩٣٦ وصل تشانج كاى تشيك الى نانكين بعد ما افرج عنه • ولقد اهتزت الصين كلها امام لفتة الشيوعيين الذين وضعوا الصالح الوطنى فوق كل اعتبار اخر • وعندما اعلنت الحرب الصينية اليابانية فى ٧ يوليو ١٩٣٧ كانت الجيوش الشيوعية فى طليعة صفوف المناضلين فى حرب التحرير • اما تشانج كاى تشيك فقد نسى تعهداته التى ارتبط بها في سيان ، وكلفت الصحافة بأن تتكتم المسألة • ولكن ماو تسى تونغ انقذ الصين من فوضى كان من شأنها ان تقضى عليها الى الابد •

كـل فـلاح جنـدى

فى ميدان القرية الصغيرة • احاط الفلاحون بقائد كتيبة الجيش الشعبى ان اليابانيين على مسيرة عشر كيلو مترات • ان اللاجئين من نساء واطفال وشيوخ يفدون منذ ايام فى اسمالهم الملطخة بالغبار والدماء هربا من الدمار انهم يروون اخبار القرى المحروقة والفلاحين المقتولين، والسخرة التى فرضها اليابانيون على الرجال القادرين بالضرب والاهانة وجثث من عذبوا يلتهمها النمل على حافة الطرق الصفراء • لقد اجتاح الغـــزاة اليابانيون شمال الصين وطوقوه بجحافلهم الماضية فى زحفها المخيف ، ان جيش الشعب يقاتل بالاسلحة التى انتزعها من العدو • وينظر الفلاحون الى هوءلاء الجنود نظرة فضول • هوءلاء الفلاحون هم رفاقهم المسلحون ببنادق يابانية وسيوف وقنابل يدوية غليظة مصنوعة من نحاس اجراس المعبد بعد صهرها ومـــن برادات الشاى القديمة وعلب الاغذية المحفوظ واوانى الفخار • اما مدافعهم فمصنوعة من الخشب وقد لفوا على اسطواناتها سلك تليفون يابانى لمنعها من الانفجار وقذائفها عبارة عن قطع من الزجاج المكسور والزلط وخردة الحديد ويتساءل الفلاحون :

ـ ماذا يمكننا ان نفعل ؟ ليس لدينا اسلحة !

فيجيب القائد :

ـ ليس لديكم اسلحة ؟ لديكم مجارفكم لحفر الخنادق • وفوءوسكم

لقطع الاسلاك التليفونية ، ومناشيركم لقطع الاشجار وسد الطرق ، وعيونكم لارشاد جنودنا ، ومناجلكم لقطع رأس اليابانيين •

ان الصين الحمراء كلها تحارب • ويسيطر ماو تسى تونغ وشوتـــــه على ١٩ منطقة • وسوف ينظم قريبا مليون متطوع الى الجيش الشعبى ، ولكن اينما شن اليابانيون هجوما فانهم لايواجهون الوحدات النظامية للجيش الثامن او الجيش الرابع فحسب ، لقد نزل المعمعة مئات الالوف من الانصار وسوف يصبحون بعد قليل عدة ملايين • ان لكل قرية جيشها ولكل مركز عصاباته • وفى ١٩٤٠ شن ماو تسى تونغ هجوما فاشلا على اليابانيين ، هجوما اطلق عليه « معركة المائة فيلق » وفشل الهجوم • ولكن الجيش الشعبى استعاد منذ عام ١٩٤٣ الاراضى التى تخلى عنها فى وجه الهجمات المضادة لليابانيين • وفى عام ١٩٤٥ ، فى المؤتمر الوطنى السابع للحزب الشيوعى الصينى استعرض ماو تسى تونغ النتيجة النهائية لاعمال الجيوش الشعبية وعصاباتها فقال :

« فى خلال السنين الاخيرة لم تقع معارك جدية فى جبهة جيوش الكومنتانج ، وظل سيف المعتدين اليابانيين مسلطا على جبهات الاقاليم المحررة « بمعرفة الشيوعيين » • ففى ١٩٤٣ كان ٦٤٪ من القوات اليابانية فى الصين و ٩٥٪ من وحدات حكومية وانج شين وى المتعاونة مع اليابانيين موجها ضد الجيوش الشيوعية •• وفى الوقت الحاضر (ابريل ١٩٤٥) تستخدم ضدنا ٤٠ فرقة يابانية مكونة من ٥٨٠ الف رجل (عدا جيوش منشوريا وتبلغ قوتها ٢٢ فرقة بها ٣٢٠ الف رجل) ، اى اننا نواجه مايقرب من ٥٦٪ من قوات العـــــدو ••

الصـــين فى غـــدها

الصين الجديدة نواة من ثلاثة ملايين رجل يشبهون زعيمهم ماو تسى تونغ • انهم الثلاثة ملايين عضو فى الحزب الشيوعى الصينى • ثلاثة ملايين يقودون ٤٥٠ مليونا من البشر نحو مصير جديد • لقد وصفهم مراسل جريدة « لموند » فجاء كلامه وصفا لماو تسى تونغ ذاته من غير قصد ، قال « لايصحب وصولهم اراقة نقطة دم واحدة ، وهم يقيمون حكمهم دون ان يلقى بوليسهم القبض على احد تقريبا ، فلا ارهاب ولا اضطراب » • وبعد المذابح التى ارتكبها تشانج كاى تشيك وبوليسه بالجملة خلال ربع قرن ، تتنفس الصين اخيرا الصعداء ، ها هو ماوتسى تونغ نفسه يعلن على الملاء فى اول يوليو ١٩٤٩ : « يقال لنا « انكم لاتعرفون اللين » • وهذا حق • نحن نعارض بحزم استعمال اللين ازاء الاعمال الرجعية من جانب الرجعيين • اننا نلين ازاء الشعب فقط •• واساليبنا التى نستخدمها ديموقراطية • اننا نلجأ الى اساليب الاقناع لا القسر • واذا خرق البعض القانون فسنعاقبهم او نسجنهم او نحكم عليهم بالاعدام • ولكن هذه الحالات كلها لاتعدو كونها محدودة تخرج من حيث المبدأ على الدكتاتورية الموجهة ضد الطبقة الرجعية باعتبارها طبقة » • وقد استطاع كل من عاد من الصين ان يتحقق بنفسه من ان هذه المبادىء توضع موضع التطبيق •

ولم يكن على الجيوش الشعبية ان تحارب اليابانيين فحسب ، وسرعان ما اصبحت الوحدة الوطنية ضد الغزاة وهما لايستند الى الواقع ، وفى ١٩٤١ اصدر تشانج كاى تشيك اوامره الى الجيش الرابع الجديد [١] بالتوجه الى الشمال • وتبين الجنرال يه ـ تنج قائد الجيش الشعبى ان هذه الاوامر التى تلقاها سوف توقعه فى فخ وتلقى به فى احضان اكبر حشد من القوات اليابانية • فقرر تعديل خط سيره ، وعندئذ هاجمه الوطنيون فجأة وقتلوا من رجاله ١٠٫٠٠٠ جندى ، يقول الكاتب الامريكى تودور رايت : «لقدكان هذا العمل بمثابة طعنة من الخلف واشاعة جوا من هستريا الحقد سيطر فى المستقبل على كل العلاقات بين الحكومة المركزية والشيوعيين • وضرب الحصار من جديد حول القاعدة الشيوعية فى شنسى فى الوقت الذى كانت فيه الحرب لاتزال قائمة بين الصين واليابان • ومن تلك اللحظة اصبحت الحرب موجهة ضد صينيين : الصين الشيوعية وصين الكومنتانج ـ تضاف اليها حرب بين الصين الشيوعية والصين الوطنية » • وبالرغم من ذلك ناشد ماو تسى تونغ مرات عديدة تشانج كاى تشيك ان ينبذ سياسة الانقسام : قال : « ان امام تشانج طريقان ، فهو اذا فضل ان يعمل بقوة لنصرة الديموقراطية فى كل الصين وطرد اليابانيين ، فسوف يقف الشعب كله الى جانبه • ولكنه اذا رغب فى تقليد هتلر او فى استمرار حكم اباطرتنا الصينيين ، واذا رغب فى الاستمرار الى مالا نهاية فى سياسته ذات الوجهين التى تهدف الى محاربة القوات المناهضة لليابان بينما يمتنع هو عن محاربة اليابانيين ، واذا استمر فى اصراره على القضاء على الحزب الشيوعى والعناصر الديموقراطية الاخرى فى

---

١ ـ كان للشيوعيين جيشان كبيران ، احدهما جيش الطريق الثامن او الجيش الثامن ، والاخر الرابع الجديد الذى انشىء بعد الاول.

الصين الى حد المجازفة بالحرب الاهلية ، فسوف يجد نفسه محروما من التأييد الشعبى » •

وبينما كان الانتاج يزداد فى المناطق التى حررها الشعب ومستوى معيشة الفلاحين يرتفع والديموقراطية تنتشر فى القرى ، كان الحال على العكس من ذلك فى الصين الوطنية ، فازداد التضخم لدرجة خيالية وانتشر البوءس واستفحل الطغيان البوليسى • ففى اغسطس ١٩٤٨ كان لابد من ١٢ مليون دولار صينى لشراء دولار امريكى واحد • وازدادت معسكرات الاعتقال ، واصبح مصير الاعيان والمثقفين الذين يحتجون على تلك الاوضاع اليابانى وتأييد امريكا • ولكن الامريكيين انفسهم ما كانوا لينخدعوا • وعندما تنشر مذكرات الجنرال ستيلويل قائد القوات الامريكية فى الصين ، سنرى مدى احتقاره لدكتاتورية الصين الوطنية ، وسنرى انه لم يجد له وصفا كافيا للحط من قدره •

وفى اغسطس ١٩٤٥ استسلمت اليابان ، وعندئذ اصبحت (الصينيان) وجها لوجه وكل المراقبين يعلمون ان المعركة الحاسمة ستوءدى بتشانج كاى تشيك وبنظام الارهاب الابيض الذى فرضه ، ان الامريكيين يحاولون ان يجبروا ربيبهم على التزام جادة الصواب والمحافظة على الوضع الراهن لقد فشلت اربع محاولات متتالية للتوفيق اولها محاولة السفير باتريك هولى ومحاولتا الجنرال مارشال ، واخيرا محاولة السفير جون ليتون ستيوارت • ان تشانج مقتنع بأن فى وسعه قهر ماوتسى تونغ فى بحر خمسة او ستة شهور على الاكثر ، فلديه مليونان من الرجال بخلاف الاموال والمصانع الامريكية ، ومعدات اليابانيين المنهزمين ، لقد قدر ان امامه جيوشا شعبية

متهوكة القوى من جراء الحرب واقل عددا وعدة من جيوشه • انه يتظاهر بالبطولة ويعلن صبيحة كل يوم انه على وشك احراز نصر حاسم • وفى ذلك كتب ماو تسى تونغ يقول :•

« لقد قلنا حينئذ ان تفوق اعدائنا فى القوة الحربية ان هو الا ظاهرة موقتة • ولكن الحرب التى شنها تشانج كاى تشيك معادية للشعب بطبيعتها، والشعب يعطف على سياسة يعينها او يعارضها ، وهذه كلها عوامل دائمة ، ولجيش التحرير الشعبى الغلبة فى هذا المجال • ان الطابع الوطنى العادل الثورى للحرب التى يخوضها الجيش الشعبى لابد وان يضمن لها تأييد الشعب فى البلاد باسرها » •

وفى يونيو ١٩٤٦ وضع تشانج حدا للهدنة ووجه الى ماو اكبر هجوم شنه فى حياته • فزحف مليون رجل على المناطق المحررة • وسقطت ينسو ، واحتل الوطنيون ١٧٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع من الاراضى • واعتقد العالم ان ماوتسى تونغ قد انتهى •

ولكن فى اول اكتوبر عام ١٩٤٩ كان تشانج كاى تشيك قد ولى الادبار وابيدت جيوشه وتحررت الصين كلها ، وترأس ماوتسى تونغ فى بكين احتفالات اعلان الجمهورية الصينية الجديدة • لقد كان ماو ثاقب النظر • فقد انقضى عهد الانبياء ، والذين يتمتعون بتفكير سليم هم الذين يستطيعون قراءة المستقبل فى الوقت الذى يصنعونه • لقد انقذ «اللص» ماو تسى تونغ وطنـــه •

وكتبت ايضا صحيفة «لموند» تقول : « ان الموظف فى النظام الجديد يحيا حياة التقشف ••• فالحزب يتكفل بملبسه ومأكله ومسكنه ، انه فقير •• ينام على الارض الصلبة » • وهنا ايضا يضرب ماو تسى تونغ المثل • ففى

القصر الامبراطوری القديم فی بكين ، كما فی مغارات ينسا . يختلف ماو تسی تونغ ومن معه اختلافا غريبا عن تشانج كای تشيك وبطانته الغارقين فی الفساد والرشوة وحب المال .

واسترسلت لموند قائلة :« يجب ان نعترف بأن الشيوعيين يتحلون بشمائل كاد الناس يعتقدون ان الصينيين تجردوا منها ، وهی الامانة والحرص على المصلحة العامة والاهتمام الدائب بالحالة النفسية للشعب » .

ان الصين الجديدة هی التی وضعت موضع التنفيذ مبادیء صن يات سن الثلاثة التی كان يتشدق بها تشانج كای تشيك ، ان الرمز الحی لتحقيق هذا المثل الاعلى الذی كان ينادی به « ابو الشعب » ، وهو وقوف ارملته الی جانب ماو بصفتها نائبة رئيس الحكومة الصينية الجديدة .

ان ثمة مشاكل ضخمة تواجه زعماء الجمهورية الشعبية الصينية ففی اثناء اقامة ماو تسی تونغ فی موسكو كتب الصحفيون الامريكيون كثيرا عن الصعاب التی افترضوا انه سيصادفها ، وبينما كانت البرقيات تثير الصحافة الساذجة كان ماو تسی تونغ يزور المصانع والمنشئات والمناجم فی الاتحاد السوفيتی . لم تكن هذه مجرد زيارات رسمية عادية لرئيس دولة يزور بلدا اخر . لقد كان اول عمل قام به ماوتسی تونغ بعد النصر هو توجيه جيش النصر الی العمل ، والالقاء به فی اتون معركة جديدة :معركة الانتاج السلمية .

صرح ماو تسی تونغ فی نوفمبر ١٩٤٩ « بأن جيش التحرير الشعبی يجب ان يتحمل نصيبه من عبء الانتاج ، لان هذه هی الطريقة الوحيدة التی يستطيع بها جيش التحرير الشعبی ان يتغلب على هذه الصعوبة بالتعاون مع الشعب كله .

ومن الممكن انجاز هذه المهمة الخاصة بالانتاج لان الاغلبية الساحقة

من افراد جيش الشعب من الجماهير الكادحة ، وهم يتمتعون بمستوى عال من الوعى السياسى ومتخصصون فى تشكيلات الانتاج المختلفة . لقد سبق ان تحملوا عبء الانتاج خلال سنوات الحرب العصيبية ضد اليابان . ولديهم خبرة بالانتاج وبتقاليد فى العمل . وان الجماهير الواسعة من الكوادر وقدماء المحاربين فى جيش التحرير الشعبى لتدرك انها ، بمساهمتها فى العمل الانتاجى ، سوف يتمكن الجيش من التغلب على المصاعب وخفض نفقات الحكومة ، وتحسين مستوى المعيشة فى الجيش ، وسوف تستطيع ايضا بواسطة العمل ان ترفع وعيه السياسى وان تحسن العلاقات بين الضباط والجنود وبين الجيش والشعب » .

واذا وقف ماو تسى تونغ على سطح القصر الامبراطورى المشرف على بكين يتأمل المدينة الممتدة تحت قدميه ، وامبراطورية الوسط القديمة فى الافق البعيد ، فانه لايلقى على هذا المشهد نظرة الرجل الذى انتهت مهمته ، فبعد ثلاثين عاما من المعارك والحرب الاهلية ، وبعد تحقيق السلم وضمان السلطة تواجه ماو وزملاءه اعظم المهام ، وفى الوقت الذى يعلن فيه تشانج كاى تشيك ان امله النهائى يتركز فى قيام حرب عالمية جديدة ، يحتاج ماوتسى تونغ وشعبه الى سلام طويل ، سلام مقيم ، ولاقامة هذا السلام وارساء اسسه ذهب ماو الى موسكو ليوقع معاهدة التحالف الصينية السوفيتية ، ووقفت الصين الجديدة بحزم فى معسكر السلام . وقد صرح ماو فى بكين فى يوليو الماضى « ان الحياد ليس سوى قناع ولا يوجد طريق ثالث »[1] .

---

١ ـ لاحياد فى مسألة لسلام ، ومصر تقف بصلابة فى معسكر انصار السلام وضد الحرب ، ومن اجل تدعيم السلام تلتزم مصر سياسة الحياد الايجابى .

لقد وضع ماو تسى تونغ منذ عشر سنوات البرنامج الذى يهدف الى انتزاع الصين من البوءس الذى سادها قرونا ، واعادة الحياة الى جماهير الفلاحين الاميين والمستغلين الذين يكونون ٨٥٪ من سكان هذا القطر • ورفع مستوى عمال وشغيلة المدن •

هذا ما سماه ماو « الديموقراطية الجديدة » • انها مرحلة متوسطة بين اقطاعية الامس واشتراكية الغد • ان الديموقراطية الجديدة تختلف عن الجمهوريات الرأسمالية ، ولكنها « تختلف »ايضا عن احدث جمهورية اشتراكية من الطراز السوفيتي يجب ان تجرى الصين التطور التاريخي الموءدى اليها ، يجب ان تمر بمراحل التطور الاقتصادى والاجتماعى التى تجعل تحقيقها ممكنا وضروريا •

ولكن الذين يحلمون بفشل الصين امام صعوبات التعمير ، وبتحول ماوتسى تونغ الى تيتو اسيا انما يضيعون من وقتهم • وان ماو ينبههم الى ذلك قائلا : « ان وضع حد فاصل بين الرجعيين والثوريين • وكشف اهداف الرجعيين وموءامراتهم ، وبقاءنا يقظين فى الصفوف الثورية والعمل على رفع معنوياتنا ، لهو الطريق الوحيد الذى نستطيع به عزل وقهر وسحق الرجعيين • لايجب ان ننحنى امام وحش ضار ، يجب ان نعى درس اوسون (واحد من ١٠٨ ابطال فى كتاب التاريخ الشهير « كل الناس اخوة ») الذى قتل نمرا على جسر تسينيان • كان اوسون يعتقد ان النمر الواقف على كوبرى تسينيسان سيفترس الناس سواء استفزوه ام لا • فلا بد من اختيار احد امرين اما قتل النمر او الوقوع فريسة له » •

لقد قتل ماو تسى تونغ النمر •

خـــاتمـــة

ان هذا الكتيب الذى انتهيتم توا من مطالعته هو تحية (موءقتة لحين ظهور موءلفى « مفاتيح الصين » الحقيقية التى ارجو ان اكتبها فى يوم من الايام لدى عودتى من هناك) [1] اهديها ليس بصفتى رحالة او شاهدا (لست بعد هذا او ذاك) وانمـــا ككاتب وشاعر ، وبصفتى هذه اذكر هنا الصين الجديدة ، ذلك النور العظيم الذى اضاءه ماو تسى تونغ وزملاوءه فى سماء اسيا ، ببعث شعب تعداده ٤٩٠ مليون نهض ليلعب دوره فى رسم مصير العالم • ان مهنتى ككاتب ، وشغفى الشديد بالشعر والثقافة هما وحدهمـــا اللذان دفعانى الى اكتشاف صين اليوم فى الوقت الذى كنت اقتفى فيه اثار صين الماضى ، واعتقد ان المسالك التى سلكتها لبلوغ هذا الهدف تعد ذات قيمة ومغزى يتعديان تجربتى الخاصة • ولم تكن الصدفة هى التى قادتنى الى كتابة حياة ماو تسى تونغ ، اذ اننى كنت قد شرعت فى دراسة حياة لى تاى بو ولم يكن من قبيل المصادفة اننى انتقلت من تأمل الانتاج الفنى فى الصين خلال

---

١ ــ نشر هذا الكتاب سنة ١٩٥٠ • وقد نشر الموءلف سنة ١٩٥٤ كتابه المطول «مفاتيح الصين» ، وهو فضلا عن قيمته كانتاج ادبى رفيع يعتبر خير مرجع فى تاريخ الصين وحاضرها من كافة النواحى السياسيةوالعسكرية والاقتصادية والادبية والفنية •

ثلاثة الاف عام ، الى اكتشاف حاضر الصين الحديثة الرائع ومن دراسة شعراء الاسر القديمة الى دراسة الشعراء المعاصرين ، ومن دراسة الصين التى كانوا يتحدثون بعظمتها الى صين اليوم التى تشغل مساحة هائلة على خريطة العالم وتبدوا وطنا جديدا للامل والعظمة والسعادة ، وطنا جديدا للاشتراكيـــة ليست المصادفات هى التى انتقلت بى من الاعجاب بحكماء وابطال وشعراء وعلماء الصين القديمة ، الى الاعجاب برجل يتمثل فى شخصه كل ماضى وطنه وكل مستقبل شعبه الحى ، رجل يجمع بين البطولة والحكمة والفلسفة والفكر والسياسة ، الا وهو الرفيق ماوتسى تونغ .

لقد اتجهت الى دراسة ماوتسى تونغ والشيوعية الصينية منذ عدةسنوات، وفى وقت لم تكن قد تعودنا فيه بعد على سماع هذا الاسم فى الراديو او الصحافة او من الاشخاص الذين واتتهم الفرصة لزيارة الصين . باستثناءالبعض امثال فايان كوتريه (١) .

فى ذلك الوقت لم يكن يطلق على الشيوعيين الصينيين فى الصحافة العالمية البورجوازية اسم الشيوعيين تماما كما كانت الصحف الالمانية فى عهد الاحتلال لاتطلق على رجال المقاومة السرية عندنا اسم الابطال ، فى ذلك الوقت كانت الصين الرسمية هى صين الدكتاتور المضحك ، صين تشانج كاى تشيك وعصابته من البوليس ورجال الاعمال المغامرين . اما الذين كانوا يحاربون فى جبهتين ، والذين يكافحون ضد الغزاة اليابانيين وضد الجيوش المأجورة لتشانج ، فان الصحافة البورجوازية والبلاغات الرسمية كانت

---

١ ـ كاتب وصحفى فرنسى قد شغل منصب رئيس تحرير جريدة لومانتيه لسان حال الحزب الشيوعى الفرنسى من سنة ١٩٢٦ حتى وفاته سنة ١٩٣٧ .

تسميهم حينئذ لصوصا وارهابيين واهل سلب ونهب ، وعن طريق شعرائهم وفنانيهم اكتشفت هوءلاء الذين كانت تتساقط روءوسهم كل يوم في عمليات الاعدام بالجملة التي قام بها بوليس الكومنتانج ، اولئك الذين رأى الزعيم الاشتراكي الديموقراطي البلجيكي اميل فان درفلد عشرات منهم تقطع روءوسهم بالفأس سنة ١٩٣١ ، مما حدا به الى التنبوء كزعيم اشتراكي ديموقراطي : « من المتوقع في هذه الظروف ان يتم الاجهاز على الشيوعيين قريبا » • لقد كان مثلي مثل ملايين الاوروبيين اجهل كل شيء تقريبا عن البطولة التي خطها الشيوعيون الصينيون في التاريخ وعن عظمة ما حققوه في كيانجسي ، وفي الاقاليم المحررة ، وفي ينان وشنسي عن المغامرة والبطولة الفائقة التي خاضوها بسيرهم الطويل ، وشجاعة شهدائهم الكثيرين ، وحدة ذكاء فلاسفتهم ومنظريهم •

كانت الصين في نظري لاتزال البلد الذي يغط فيه ٤٠٠ مليون من البشر في سبات عميق بائس ، متشبثين باصرار بالبقاء بعد اندثار ثقافتهم المجيدة التي كان يضرب بها المثل •

ولقد تتبعت تطورات هذه الثقافة خلال العصور ، فمن اسرة هان التي يرجع عهدها الى ٢٠٠ سنة قبل الميلاد ، الى الرسامين الممتازين من اسرة منج ، ومن عهد ما قبل التاريخ الى القرن السابع عشر ، وطريق الصين مملوء بالعجائب ، فقد سجل الفنانون والصناع الصينيون على البرونز والحجر والحرير ما يشهد بعبقريتهم ويبرز الجمال باروع صورة • وحتى مستهل القرن الثامن عشر الف شعراء الصين ، من تاو يوان منح الى لي تاي بو ، من تاو تسيين الى لي هو ، على ازدهار الشعر الذي لم ينل الزمن من روعته ولامن انسانيته ، شعر لايبرز من الانسان سوى جانبه العالي الخالد ، جانب الفضائل

الانسانية الطيبة والشجاعة ، وحب البشر والتقدم ، وكراهية الظلم ، والاحساس العميق بجمال العالم ، تلك الفضائل التى كان يتحلى بها لى تاى يو فى القرن الثامن والتى جعلت منه إخا معاصرا لنا ، اما تشانج كاى تشيك الذى يعيش بيننا الان فهو لايتحلى بفضيلة واحدة من تلك الفضائل ، لذا يبدو وكأنه فى عصر اخر ويعادى بنى البشر .

لقد تتبعت من قرن الى قرن هذا الازدهار المتواصل من الروائع ، كنت اراه يذبل ويتناقص كلما اقترب عصرنا ، كنت ارى الاقلام وهى تتساقط رويدا رويدا من ايدى فنانى الصين ، وشعرائها ورساميها ، على السواء ، فى ظل الاستعمار الحديث .

رأيت الصين وهى تتخلى عن الفن الصينى لتنتج اشياء تافهة ، والشعراء يتفانون عبثا فى محاكاة نماذجهم القديمة ، والثقافة الصينية تحتضر ولا تخلف سوى ذكر عظمتها الماضية .

لم يبعث الفن والشعر الصينى من الظلمات التى اكتنفتها الا فى الربع الاول من القرن العشرين . فقام فنانو الحفر على الخشب الجديرين بالاعجاب ببعث فن وطنى صينى بطريقة جديدة تماما . واعاد بعض الشعراء الكبار صقل اللغة والاسلوب . وعندما يسأل الصينيون عن هوءلاء الفنانين ، عن هوءلاء الكتاب ، تلتقى الاجابات فى صعيد واحد ، فان جو شوه هو رائد كبار الفنانين الصينيين اليوم ، وقد اعتقله واعدمه الكومنتانج ، ولم يكن من السهولة بمكان اقتناء اثر هوءلاء الفنانين ، لان البوليس السياسى كان يطاردهم ، ولان الجستابو الصينى كان يفتش منازلهم بحثا عن ادوات الطباعة على الخشب التى كانت تعتبر وقتئذ « ادوات انقلابية » ولان الفنانين الصينيين الذين تمكنوا من الافلات من الاعتقال والموت كانوا يعملون ويتكرون فى

الاقاليم التى حررها الشيوعيون بين صفوف الشعب ، مثل الحفار على الخشب كويوان العظيم ، والذى زينت اشغاله منزل كل فلاح فى الاقاليم المحررة. ومن عاش من هؤلاء الكتاب ولم يقتل او يعتقل بواسطة رجال تشانج كاى تشيك [1] عاش مع جيوش تحرير الشعب ، وسط الانصار والجنود ، فى قرى الشمال ومغارات عاصمة ماوتسى تونغ الموقتة « ينان » . ان جميع مبتكراتهم من اشغال الحفر (لكويوان) الى قصائد (آى شنج) ، الى روايات ماوتون ولوسين) تنتهى بنا دائما الى كلمة ماوتسى تونغ وما ينبعث منها من الشعور العميق « ان نقطة البدء عندنا هى خدمة الشعب الصينى بحرارة وبكل جوارحنا ، ولا ننفصل عنه ابدا » .

لقد اهتدت الصين من جديد الى فن عظيم لان فنانيها اهتدوا الى بلادهم من جديد الى طريق الشعب ، ولان شعبها وجد اخيرا طريق الحرية ، ومن يتتبع الاسس البعيدة للفن والادب الصينيين يراهما يذبلان ويختفيان بالتدريج ثم تبعث فيها الحياة ويعاودان الظهور من جديد وسرعان ما يكتشف مع هذا الفن وهذا الادب الحى الحقيقة الكبرى التى يعبران عنها والتى تفسرهما ، الا وهى الثورة الصينية ، صين (ماوتسى تونغ) ان الصين الناهضة تلحق اليوم بكل عظمتها وقوتها الفتية قوى الامل وركب المستقبل . ومعسكر السلام الهائل .

منذ قرن مضى كان اباؤنا يديرون وجههم شطر الصين حبا فى المغامرة

---

١ ـ مثل الروائية تنج لنج التى اعدمت رميا بالرصاص بعد زوجها الكاتب هو يى ين بعام واحد ، ومثل الفيلسوف لى باشاو الذى اطلق عليه الرصاص ، ومثل الناقد «ون يى تو » الذى قطعت رأسه ، ومثل الاقتصادى « ماين شو » الذى اغتيل ، ومثل الشاعرين « كى شونج لنج » و «اى شنج» اللذين امضيا فى السجن اعواما (المؤلف) .

والاغتراب وبحثا عن سر الشرق ولغز ابناء السماء الغامضين ، ولم تفقد الصين الجديدة شيئا من طابعها أو اصالتها . ولكن عندما يطرق صـــوت الصين العظيمة اذاننا فاننا لانقع تحت تأثير او اغراء بلاد بعيدة او جنس غامض او ثقافة غريبة ، لقد انتهى زمن الولوع بالاغتراب والجمال السطحى ، زمن كلود فاتى وبيير لورير (١) ، زمن الصين التى يهتم بها الروائيون من ضباط البحرية ومدخنى الافيون . لقد بدأ عهد الانسانية . وفى قصائد ماو تسى تونغ كما فى كل كتابات الصينيين اليوم نجد افكارا ومشاعر وارادات واملا مثل التى تختلج فى صدورنا ، فمن الاتحاد السوفيتى حيث ستالين العظيم الى الصين الشعبية حيث ماو تسى تونغ العظيم ، ومن سجن ناظم حكمت الى سجن ريموند ديين(٢) نلتقى دائما باخواننا . ومن الصين الشعبية الى فرنسا الشعبية نجد انفسنا بين اهلينا ، اننا فى بلد يقطنه اناس ينبض فيهم قلب واحد .

ك٠ر

١ ـ يقصد الكاتبين الفرنسيين كلود فارير وبيير لوتى وقد ضم الى المقطع الاول من اسم كل منهما المقطع الثانى من اسم الاخر امعانا فى الهزء والسخرية . وكان كلاهما ضابطا بحريا وللاول كتاب عنوانه «دخان الافيون»

٢ ـ فتاة فرنسية القت بنفسها على شريط السكة الحديد لتحول دون مرور قطار محمل بالجنود والعتاد الى القوات الفرنسية فى الهند الصينية فحكم عليها بالسجن .

مـــلاحـــق

جمعت وكتبت بمعرفة المترجم

ـ ١ ـ

مطالب اليابان الواحد وعشرون عام ١٩١٥

قدم الواحد وعشرون مطلبا على ورق يحمل رسومات المدافع والسفن الحربية ، وتتدرج المطالب تحت خمسة اقسام .

١ ـ توافق الحكومة الصينية على جميع المكاسب التى قد تنالها اليابان فى مقاطعة شانتونج بموجب معاهدة الصلح المرتقبة مع المانيا . وتعطى اليابان فورا امتيازارت سكك حديدية جديدة فى شانتونج خارج حدود دائرة النفوذ الالمانية السابقة .

٢ ـ تحل اليابان محل روسيا كمستأجرة لمينائى دارين وبورت ارثر وسكة حديد جنوب منشوريا التى استولت عليها فى الحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ، وذلك لمدة ٩٩ عاما (أى حتى سنتى ١٩٩٧ ، ٢٠٠٢ على التوالى) كما تستأجر اليابان عدة خطوط حديدية اخرى فى منشوريا لنفس المدة وتفتح جنوب منشوريا والقسم الشرقى من منغوليا الداخلية أمام أصحاب الاعمال اليابانيين الذين يكـــون لهم حق الاولوية على المناجم والسكك الحديدية وحق تأجير المناطق وعلى جميع المناصب الاستشاريـــة

والتعليمية فى المجالات السياسية والمالية والعسكرية المفتوحة امام الاجانب فى هذه المناطق •

٣ ـ تحول اكبر منشأة صناعية ثقيلة فى الصين وهى مصانع الحديد والصلب فى هانيبنج على نهر يانجستى الى موءسسة صينية يابانية ، وتتعهد الصين الا تتصرف فى اى جزء من ممتلكات هذه المنشأة وبأن لاتسمح لاى شخص صيني او اجنبى ان ينشيء منجما بالقرب منها بدون موافقة اليابان •

٤ ـ ليس للصين ان تتنازل او توءجر اى ميناء او خليج او جزيرة على طول سواحلها لاى دولة خلاف اليابان •

أما القسم الخامس من المطالب فأكثرها سرية ومساسا بالكرامة ، اذ كان يقضى بأن على الصين ان تستخدم مستشارين يابانيين فى الشـــوءون السياسية والمالية والعسكرية • بل نص على أن يتولى شوءون البوليس فى المواقع الهامة فى الصين هيئات مشتركة من الصينيين واليابانيين • وطالـب بانشاء ترسانة يابانية فى الصين وبأن تشترى الاخيرة نصف ذخيرتها من اليابان • وفضلا عن ذلك تمنح اليابان امتيازات فى السكك الحديدية جنوبى اليانغ تسى ، ويكون لها الامتيازعلى المناجم والسكك الحديدية واحواض السفن فى مقاطعة فوكيين المواجهة لجزيرة تايوان ـ فورموزا •

وظلت المفاوضات تجرى مع حكومة بكين بشأن هذه المطالـب حتـى شهر مايو ، حيث وجهت لها اليابان انذارا نهائيا بقبولها فى ظرف ٤٨ ساعة فرضخت له حكومة يوان شى كاى •

ـ ٢ ـ

بعد ٧ سنوات من انتصار الثورة

فى عام ١٩٤٩ نجح الشعب الصينى بقيادة الحزب الشيوعى وزعيمه

ملو تسى تونغ فى القضاء على الحكم الرجعى الذى اقامة الاستعمار والاقطاع ورأس المال البيروقراطى ، وأقام حكومة جمهورية شعبية اشتركت فيها الاحزاب المؤتلفة فى الجبهة الشعبية وعددها تسعة ، وأهمها الحزب الشيوعى • وقد احرز الشعب الصينى انتصارات هائلة فى كافة الميادين •

فبالنسبة للزراعة ، صدر فى ١٤ يونيو ١٩٥٠ قانون الاصلاح الزراعى الذى احدث تغييرا جوهريا فى الاوضاع الاجتماعية فى الريف ، اذ الغيت الملكية الاقطاعية وشبه الاقطاعية ، وحل محلها نظام الملكية الصغيرة • ونفذ توزيع الاراضى فى جوهره فى اكتوبر ١٩٥٢ فشمل ٤٧ مليون هكتار اى حوالى ١١٧ مليون فدان (الهكتار يساوى ٢½ فدان تقريبا) واستفاد منه حوالى ٤٢٠ مليون فلاح • فزال من على كاهلهم عبء الايجارات التى كان يحصلها الملاك فى عهد الكومنتانج وكانت تعادل من ٤٠ الى ٥٠ مليون طن من الحبوب اى ربع الانتاج الكلى ، مما حفز الفلاحين الى زيادة الانتاج وتحسين أسلوب العمل ، فزاد انتاج الحبوب سنة ١٩٥٢ بنسبة ٩ ٪ عن أعلى مستوى بلغة قبل الحرب • ولكن بما ان تفتيت الملكية لا يساعد على اشباع حاجات السكان المتزايدة ، فقد حث الحزب الفلاحين منذ ١٩٥١ على تكوين « فرق المساعدة المتبادلة » تمهيدا لانشاء جمعيات تعاون الانتاج ، وانضم ٤٠٪ من الفلاحين الى هذه الفرق سنة ١٩٥٢ وبلغت النسبة ٥٨٪ تقريبا سنة ١٩٥٤ • ثم شجع الحزب منذ سنة ١٩٥٢ تكوين تعاونيات انتاج زراعية شبه اشتراكية يكون لكل فلاح مشترك فيها حصة او سهم مساو لمساحة الارض التى يضمها الى التعاونية مع بقاء الارض ووسائل الانتاج الرئيسية ملكا له • ويكون للجمعية التعاونية ادارة تعاونية واحدة • وقد ازداد عدد التعاونيات من ٣٠٠ سنة ١٩٥١ الى ٦٧٠٫٠٠٠ فى النصف

الاول من ١٩٥٥ تضم حوالى ١٧ مليون اسرة • ثم تكونت تعاونيات اشتراكية تنتقل فيها الارض ووسائل الانتاج الاخرى من الملكية الفردية الى الملكية الجماعية وضعت فى مايو ١٩٥٦ ٧٤٫٠٠٠٫٠٠٠ أسرة أى ٢١٫٩٪ منها • اى ان المزارع الجماعية والاشتراكية انتظمت عام ١٩٥٦ ضعف عدد الاسر التى انضمت الى التعاونيات نصف الاشتراكية ! • وقد ترتب على انتشار الاسلوب التعاونى فى الزراعة أن زاد انتاج سنة ١٩٥٥ عن انتاج ١٩٥٢ بنسبة ١٤٫٨٪ • ويقضى مشروع السنوات الخمس الاول ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧ بزيادة الانتاج الزراعى بنسبة ٢٣٫٣٪ أى بمعدل ٤٫٣٪ سنويا •

ـ ٣ ـ

وصية صن يات سن السياسية

توفى صن يات سن فى ١٢ مارس ١٩٢٥ متأثرا بداء سرطان الكبد • وقد أملى وصية الى حزبه جاء فيها : ـ

لقد كرست أربعين عاما من حياتى لخدمة قضية الثورة الشعبية ، ولم يكن لى سوى هدف واحد هو ان تتبوأ الصين مركزها كأمة حرة ومساوية فى الحقوق لسائر الامم • ولقد اقنعتنى تجاربى خلال هذه الاربعين عاما بأنه لبلوغ هذا الهدف يجب علينا ان نوقظ شعبنا وان نتحالف فى كفاح مشترك مع شعوب العالم التى تعاملنا على قدم المساواة •

ان الثورة لم تنته • فليتبع رفاقنا الخطط التى وضعتها لاعادة بناء الوطن واسس بناء الوطن والمبادىء الشعبية الثلاثة ، والبيان الذى اصدره المؤتمر الوطنى الاول لحزبنا ، ليبذلوا كل جهد لوضعها موضع التنفيذ • ويجب قبل كل شىء وفى أقرب فرصة أن توضع موضع التنفيذ تصريحاتى الاخيرة المؤيدة لعقد مؤتمر وطنى لشعب الصين والغاء المعاهدات غير المتكافئة •

طبع على نفقة المكتبة الشرقية
في
دار مطبعة التمدن ــ بغداد